DR. SHARIF ALAWNEH

أبحاث ودراسات في الأدب والنقد



الدكتور شريف علاونه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

صدق الله العظيم

أبحاث ودراسات
في
الأدب والنقـــد

للدكتور شريف علاونــه

Dr. Sharif Raghib Alawneh

أبحاث ودراسات في الأدب والنقد

تأليف

الدكتور شريف علاونه

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبات والوثائق الوطنية
(٢٠٥٧/٦/٢٠٠٨)

٨١٠,٠٩

علاونه، شريف راغب

أبحاث ودراسات في الأدب والنقد/ شريف راغب علاونه.ـ

الزرقاء: المؤلف، ٢٠٠٨.

(١٢٢) ص.

ر.أ.: (٢٠٥٧/٦/٢٠٠٨).

الواصفات: /الأدب العربي// النقد الأدبي//التحليل الأدبي/ الأبحاث/

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

إهداء

إلـــــى ابنتـــي آلاء...

لتفوّقهـــــا

في امتحان الثانوية العامة....

المحتويات

مقدمة

هذه ثلاثة أبحاث متخصصة في الأدب القديم ونقده، نُشرتْ متفرقة في مجلات محكمة. وقد رأيتُ أن أجمعها بين دفتي كتاب؛ ليسهل على الباحثين والمتخصصين الاطّلاع عليها. ذلك أنّ الاطّلاع على بحوث المجلات المحكمة، التي تصدرها مجالس البحث العلمي، لا يكون ميسوراً – في أغلب الأحيان – إلاّ لعدد محدود من المهتمين والمختصين، ممن لهم علاقة بتلك المجلات وإصداراتها.

إنّ جَمْع هذه الأبحاث، ونشرها في كتاب واحد، قد يكون حافزاً لدراسات وأبحاث أخرى تنطلق منها، أو تضيف إليها، أو تستدرك عليها. ولعلّ الباحثين والدارسين يجدون فيها مجالاً لجديد يضيفونه، إذا ما طُبعتْ أبحاثهم بطابع البحث العلمي الجاد. إذ لابدّ للاّحق أن يضيف إلى ما انتهى إليه السابق، ويكون في عمله إغناء وإضفاءً، سواء أكان ذلك عن طريق الاستدراك والتقويم، أم عن طريق الإضافة المستمدة من الاطّلاع على مصادر جديدة، أو من قدرة متميّزة على التفسير والربط والتحليل.

وقد جعلتُ هذه الدراسة في ثلاثة فصول: يتناول الفصل الأول (البحث الأول) بالتحقيق والدراسة القصيدة العينية للصَّلَتان العَبْديّ، وهو واحد من شعراء البحرين المقلّين في العصر الأموي.

وموضوع هذه القصيدة يكاد يكون متفرداً في بابه، وهو التحكيم والمفاضلة بين الشاعرين جرير والفرزدق، اللّذين يُعدان على رأس الشعراء الفحول في العصر الإسلامي.

وقد قدّمت لهذا البحث بتعريف بالشاعر صاحب القصيدة، ثم قمت بتحقيق هذه القصيدة، فوثّقتُ أبياتها، وقارنت بين رواياتها، وشرحْتُ معانيها، واستقصيت مصادرها. وبعد أن فرغتُ من ذلك قدّمت دراسة لهذه القصيدة، من الناحيتين الموضوعية والفنية.

أمّا الفصل الثاني (البحث الثاني) فإنه يتناول بالجمع والتحقيق شعر بلال بن جرير بن عطية بن الخطفى، وهو واحد من الشعراء المقلّين في العصر الأموي.

قدّمت للشعر الذي جَمعْتُه بدراسة تناولتْ سيرة بلال ومصادر شعره وموضاعاته، وحاولتُ أن أضع شعره في إطاره الحقيقي، فبلال لم يكن من أصحاب الدواوين الشعرية، كما أنه ليس من الشعراء المشهورين، ولكنه – من خلال شعره الذي جمعناه – أقربُ إلى الشعراء المقلّين المجيدين.وقد ضبْطتُ الأشعار التي جمعْتُها بالشكلِ، وشرحْتُ ما غمض من معانيها، ووثّقْتُ رواياتها، واستَوفَيْتُ مصادر تخريجها.

ويتناول الفصل الثالث (البحث الثالث) قضية المفاضلة بين الشعر والنثر في التراث النقديّ الأندلسي، وهي قضيةٌ من قضايا النقد الأدبي العربي القديم.

وقد قدّمت لموضوع البحث بحديث موجز عن مواقف عدد من النقاد المشارقة، مما يساعد في توضيح آراء النّقاد الأندلسيين من جهة، ويبيّن مدى تأثرهم بمن سبقوهم من جهة أخرى.

وعرضت لآراء النقاد والأدباء الأندلسيين في قضية المفاضلة بين الشعر والنثر وفق تَسَلْسُل أزمانهم، من مطلع القرن الخامس الهجري إلى آخر عهد العرب المسلمين بالأندلس. ولم يقتصر البحث على عرض آراء النّقاد والأدباء الأندلسيين في هذه القضية، وإنما تناول تلك الآراء محلّلاً ومفسّراً ومُعلّلاً

وعلى الرغم من كون هذه الأبحاث الثلاثة محكّمة، ونالت القبول والصلاحية للنشر، مما يدل على الجهد الكبير، الذي بُذِل في إعدادها، إلا أنني لا أبرئ نفسي مما قد يقع فيها من نقص قد يستكمل، أو زلل قد يُصوّب، فالكمال لله وحده، وسبحان الله القائل: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾

الدكتور شريف راغب علاونه



الفصل الأول

عيْنيّة الصَّلَتان العَبْديّ

في التحكيم بين جرير والفرزدق

(تحقيق ودراسة)

مدْخَل:

على الرغم من الجهود المتواصلة التي بُذلتْ للعناية بِشعْرنا القديم جَمْعاً وتحقيقاً وشَرْحاً ودراسة، فإن ثمّة كثيراً من نصوص ذلك الشعر لم تحْظَ بعناية الباحثين والدارسين، كما حظي غيرها من شعر أصحاب الدواوين. ومن تلك النصوص القصيدة العَيْنيّة في التحكيم بين جرير والفرزدق للصّلَتان العبدي، وهو واحد من شعراء البحرين المقلّين في العصر الأموين، ممّن لم يَلْقَ شعرهم ما يليق به من عناية واهتمام. وقد يكون لقلة شعره من ناحية، وعدم تردّده على بلاط الخلفاء الأمويين من ناحية أخرى أثر في انصراف الرواة والعلماء عن تدوين شعره ودراسته.

وفي العصر الحديث لا نجد من الباحثين والدارسين من يخصص دراسة للصلّتان وشِعْره، سوى ما قام به الدكتور عبدالحميد المعيني، الذي جمع أطرافاً من شعره ضمن ما جمعه لخمسة وعشرين شاعراً من شعراء قبيلة عبدالقيس في كتابه الموسوم بعنوان «شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي: جَمْع وتحقيق»[1]. وقد بذل د. المعيني جهداً طيباً في جمع شعر هؤلاء الشعراء وتحقيقه. ولكننا –بالنظر في القصيدة العينية التي هي موضوع دراستنا– وجدناه لم يستوف الروايات المختلفة لأبيات الشعر، أو لأشطار منها، كما أنّه لم يستقص مصادر تخريجها، ولم يدرس الشعر الذي جمعه؛ لأنه اقتصرفي بحثه–كما ذكر– على الجمع والتحقيق. ونحن قد نلتمس له عذراً؛ لأن جمع الشعر وتحقيقه لهذا العدد من الشعراء وإن كانوا جميعاً من المقلّين، ومن غير أصحاب الدواوين ليس بالأمر السهل.

وقد رأيت أن أقوم في هذا البحث بدراسة القصيدة العينية، فاستقصيتُ مصادر تخريجها، ووثّقتُ نِسْبَتَها، وقارنتُ بين روايات أبياتها توطئة لدراستها موضوعياً وفنياً.

وقد يسأل بعضهم: لِمَ خُصّت القصيدة العَيْنيّة للصلّتان دون غيرها من القصائد، وهي كثيرة في شعرنا القديم؟ والجواب: أنّ هذه القصيدة لم تلق ما يليق بها من عناية واهتمام، رغم تميُّز موضوعها، وشهرة قائلها.

وبالإضافة إلى أنّ هذه القصيدة لم تحظ بعناية الباحثين والدارسين، فإنّ لدراستها والاهتمام بها دوافع أخرى منها:

١)إنّ ابن قتيبة –وهو الذي اتّخذ جودة الشعر مقياساً للحكم على الشعراء– اهتم بهذه القصيدة في كتابه «الشعر والشعراء»، وأورد أبياتها كاملة(٢). وابن قتيبة لا يحفل غالباً إلا بالشعراء المجيدين، وإن كانوا من المقلّين، ومن غير أصحاب الدواوين.

ولم يكن ابن قتيبة فحسب هو الذي عني بهذه القصيدة، ولكننا نجد عدداً من المصادر القديمة اهتمت بها اهتماماً خاصاً، فقد ذكرها ابن سلاّم، وروى منها أبياتاً (٣)، وعُني بها أبو علي القالي في أماليه، ورواها كاملة(٤)، وكان المبرد –كما ذكر عبدالقادر البغدادي– قد أوردها في واحد من كتبه التي لم تصل إلينا(٥)، واهتم بها البغدادي في «خزانة الأدب»، فروى أبياتها كاملة، وشرح بعض ما اشتملت عليه من لغة(٦).وهناك مصادر أخرى في النحو واللغة وكُتُب الاختيارات الشعرية أوردت أبياتاً من هذه القصيدة، دلّلت بها على معان مختلفة، وعدّتها من الأبيات السائرة المشهورة.(٧) فهذه القصيدة عُنِيَتْ بها المصادر القديمة، ولو لم يكن لها من الجودة نصيب لما لَقِيَتْ ذلك الاهتمام وتلك العناية.

٢)إنّ هذه القصيدة تكاد تكون متميزة في موضوعها، وهو التحكيم بين جرير والفرزدق، اللّذين جعلهما ابن سلاّم على رأس الطبقة الأولى من فحول الشعراء الإسلاميين(٨). وكَوْنُ هذه القصيدة تتناول التحكيم بين شاعرين محلهما في الشعر أكبر من أن يوصف، فإنه يكسبها أهمية خاصة.

ولا بأس في الإشارة هنا إلى أنّ الشعراء الذين أقحموا أنفسهم في نار الهجاء المستعرة بين جرير والفرزدق كثيرون، عدّد منهم أبو الفرج الأصفهاني ما يزيد عن خمسة عشر شاعراً(٩)، انحازوا من تلقاء أنفسهم، أو بتحريض من آخرين، إلى جانب الفرزدق، وأعانوه على هجاء جرير، ولم يكن موضوع التحكيم بين الشاعرين من غاياتهم وأهدافهم، كما نجد في قصيدة الصّلتان. فالراعي النميري، الذي جعله ابن سلاّم بجانب جرير والفرزدق بين شعراء الطبقة الأولى من الإسلاميين(١٠)، انحاز إلى الفرزدق، لأن أحد بني نمير، واسمه عرادة النميري استحثه للمشاركة في النزاع الشعري بين جرير والفرزدق، وتفضيل الفرزدق، فقال بيته(١١):

يا صاحبيّ دنا الأصيل فَسِيرا ... غلب الفرزدق في الهجاء جريرا

وكلفّه هذا الانحياز غالياً، فقال جرير قصيدته المشهورة في هجاء بني نمير والراعي، وفيها يقول:

فَغُضّ الطرف إنك من نُمَيْرٍ ... فلا كعباً بلغتَ ولا كِلابا

ولم يستطع الراعي إجابته، وكان لا بد أن يعترف بالهزيمة، وقد أذله الهجاء في القصيدة، مما أدى إلى وفاته بعد ذلك بمدة قصيرة(١٢).

وسراقة بن مرداس البارقي عندما نظم قصيدته التي قال فيها:

إنّ الفرزدق برّزت أعراقُه ... عَفْواً وغودر في الغبار جريرُ

ما كُنتَ أوّل مِخْمَرٍ قعدتْ به ... مَسْعاتُه إنّ اللئيمَ عَثُور

هـــذا قـــضاءُ البـــارقّي وإنّـــه بالمَيْـــلِ في ميـــزانكم لبـــصيرُ

كان بِشْر بن مروان، أو غيره – كما تذكر المصادر- هو الذي أغراه وحمله على هجاء جرير وتفضيل الفرزدق[١٣].

فهذان الشاعران، وغيرهما ممن هجوا جريراً وعاونوا الفرزدق، كانوا مدفوعين إلى هجاء جرير ومؤازرة الفرزدق، ولم يكن التحكيم بين الشاعرين، وإصدار حكم بشأن شاعريتهما دافعاً لهم، كما هو الحال في قصيدة الصَلتان العبدي، الذي لا تشير المصادر إلى دخوله في النزاع الشعري بين جرير والفرزدق، ولم تكن بينه وبين أحدهما أو كليهما أيّة مهاجاة قبل أن ينظم قصيدته. ولذا فإن هذه القصيدة – كما أسلفنا – متميزة في موضوعها، بل تكاد تكون – في رأينا- متفردة فيه.

٣)إذا كان د. شوقي ضيف قد رصد بعض مظاهر التطور والتجديد في فنّي المديح والهجاء عند جرير والفرزدق والأخطل، ورأى أن نقائضهم أصبحت مناظرات أدبية تقوم على الحوار والجدل وظهور فكرة التعليل ووضع المقدمات[١٤]، فإننا نرى أن هذه القصيدة تمثل تطوراً ملحوظاً في بناء القصيدة وتطورها في العصر الأموي، وهذا ما سنفصّل القول فيه عند حديثنا عن المضامين والخصائص الفنية لتلك القصيدة.

أوَّلاً: تعريف بالشاعر (الصَّلَتان العَبدي):

ليس من همتنا - في دراستنا هذه -أن نتناول حياة الصَلَتان العبديّ وسيرته وشعره؛ فذلك يحتاج إلى بحث خاص نسأل الله أن يعيننا على القيام به في قادم الأيام. ولكننا نريد أن نقدّم بين يَدَيْ هذه الدراسة، التي تتناول القصيدة العينية للصَّلتان، تعريفاً موجزاً بالشاعر بالقدر الذي يتناسب مع هذه الدراسة، ويساعد في إلقاء الضوء عليها.

والصَّلَتان هو قُثَم بن خَبِيّة بن قُثَم بن كعب بن سلمان بن عباد بن عبدالله ابن عمرو بن هجرس بن ثعلبة بن عامر بن ظفر بن الديل بن عمرو بن وديعة ابن لُكَيز بن أفْصى بن عبدالقيس[١٥]. وقد اختلف أصحاب كتب التراجم في اسمه واسم أبيه، فهو قُثَم بن خبيئة عند ابن قتيبة[١٦]، وقُثَم بن خبيّة (بياء أصلها الهمز) عند البكري[١٧]، وعبدالقادر البغدادي[١٨]. ونقل البكري أنّ اسمه قُثَم بن خُثَيْمَ عند الآمدي نقلاً عن أبي عبيدة[١٩]. أمّا المرزباني فقد نقل على شك -كما يقول- أنّ بعضهم سمّاه عَمْراً، أو الصَّلتان بن عمرو[٢٠].

وإذا كان أصحاب المصادر قد اختلفوا في اسمه واسم أبيه على النحو الذي ذكرناه، فإنهم اتفقوا على لقبه (الصَّلَتان)، لبيت افتتح به قصيدته (العينيّة) وهو:

أنا الصّلتانيّ الذي قد عَلِمْتُمُ ... متى ما يُحَكَّم فهو بالأمر صادعُ

و «الصَّلتان» بفتح الصاد واللام، وأصل معناه: الشديد الصلب من الرجال، والجمع صِلْتان[٢١]. وفي كتاب «الاشتقاق» لابن دريد: «الصَّلَتان: فَعَلان، وهو المضاء في الأمور. يقال: أصَلتُّ السيف: إذا انتَضَيْتُه، وسيف إِصْليت: أي ماضٍ»[٢٢]، ومثل ذلك ذكره ابن جنّي أيضاً [٢٣].

والشعراء الذين حملوا لقب الصَّلَتان وعُرِفوا به -بالإضافة إلى شاعرنا- ثلاثة، ذكر منهم الآمدي اثنين هما: الصَّلتان الفَهْمي، والصَّلَتان الضبّي[٢٤]، وكان الجاحظ قد أضاف الصّلتان السّعدي[٢٥]. وقد ذكرتُ أسماءَ هؤلاء؛ لأن أبياتاً للصّلَتان العَبْديّ اختلطت بما نُسِبَ إليهم من أشعار.

وتنسبه المصادر إلى عبدالقيس، الذين كانوا ينزلون بلاد البحرين[٢٦] فتَقول «العَبْدِيّ»، ويعود النّسابون بعبد القيس إلى العدنانية، فهو ولد أفصى بن دعْمي ابن جديلة بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان[٢٧].

لم يكن الصّلتان رجلاً خاملاً، ولكنه شارك في الأحداث السياسية في زمانه، فأيّد عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه، وكان ضد الخوارج، وشارك في وفد البحرين الذي حضر إلى بلاط عبدالملك بن مروان[٢٨].

والصّلتان شاعر معروف، أشاد بشاعريته الآمدي، ووصفه بأنه «شاعر مشهور خبيث»[٢٩]، وتابعه في ذلك ابن خلّكان[٣٠]، ولكن الذي وصلنا من شعره قليل، لا يتفق وهذه الشهرة، فلا نجد أحداً من القدماء يذكر أنّ له ديوان شعر، ولا نجد أحداً يخصّه بكتاب. وقد وَهِمَ د. عبدالحميد المعيني عندما ذكر أن القالي عمل له كتاباً[٣١]، والصحيح أنَّ القالي تَحَدَّث عن أبيات شعر كان قد نسبها إلى الصّلتان في كتابه «الأمالي»، ثم صحّح نِسْبَتها إلى زياد الأعجم، بعد أن سمع ذلك من أستاذه ابن دريد، فكلمة «كتابي» الواردة في عبارة القالي: «وقرأتُ قصيدة زياد الأعجم على أبي بكر بن دريد فقال: زياد الأعجم كنيته أبو أمامة وكانت في كتابي للصلتان. فقال هو: هي لزياد الأعجم، ورثى بهذه القصيدة المغيرة بن المهلب بن صفرة [٣٢]» - تَعْني كتابه «الأمالي» وليس كتاباً خاصاً بشعر الصّلتان وأخباره.

وتنوّعت الموضوعات التي نظم فيها الصلتان شعره، فقد نظم في الأحداث السياسية والتاريخية، ونظم في الحِكَم والوصايا والأمثال، واشتهرت قصيدة اليائية التي منها[٣٣]:

أشاب الصغير وأفنى الكبـ ـيرَ كَرُّ الغداةِ ومَرُّ العَشيِّ
إذا هَرِمَتْ ليلةٌ يَوْمَها أتى بعد ذلك يَومٌ فَتِيّ
نَروحُ ونَغدوا لحاجاتِنا وحاجاتُ مَنْ عاش لا تنقضي
تَموتُ مع المرءِ حاجاتُه وتبقى له حاجةٌ ما بَقِيَ

وهذه القصيدة طويلة حسنة كثيرة الأمثال عند المرزباني [٣٤]، ومن مشهور شعر الصَّلتان عند البغدادي[٣٥]، وكان أبو تمام قد ختم بها (باب الأدب) في كتابه "الحماسة»[٣٦].

وجنح الصّلَتان في شعره إلى الحث على معالي الأمور، ووصف مكارم الأخلاق، فهو يقول: [٣٧]

اغشَ الأمورَ بِحزْمِها حتى تكون الآخْزَما
واظلم فَلَستَ بمدرك (م) الأوتار حتى تظلما

ويقول:[٣٨]

إذا ما أخي يوماً تولّى بودّه وأنكرتُ منه بعض ما كنتُ أعرفُ
عطفْت عليه بالمودّة إنني على مُدْبِر الأخوان بالبر أعطفُ
فأغفرُ منه ذنبَه لاصطناعه وأستُر منه بعض ما يتكشّفُ
فإغضاؤك العينين عن عيب صاحبٍ لعمرك أبقى للإخاء وأشرفُ

ونحن لا نجد من القدماء من يحدد سنة لوفاة الصّلتان، ولكن خير الدين الزركلي جعل وفاته نحو سنة ٨٠هـ، وتابعه في ذلك آخرون[٣٩].

ثانياً: القصيدة العينية (توثيق وتحقيق)

(١) أنا الصَّلَتانيُّ الذي قد عَلِمْتُم ... متى ما يُحَكَّمْ فهو بـالحقِّ صـادعُ
(٢) أتَتْني تميمٌ حين هابَتْ قُضاتُها ... وإنّـي لَبالْفَـصْلِ المبـيِّنِ قـاطِعْ
(٣) كما أنْفَذَ الأعشى قضيّةَ عامرٍ ... ومـا لتمـيمٍ في قـضائي رواجـعُ

* روى ابن قتيبة قال: «اجتُمِع إليه في الحكم بين الفرزدق وجرير، فقال (الأبيات). الشعر والشعراء: ص٣٦٧. وأورد عبدالقادر البغدادي هذه القصيدة كاملة في «خزانة الأدب»: (١/ ص١٧٦-١٧٧)، وشرح بعض مفرداتها، وقد أفدنا في توضيح المعاني مما جاء عنده.

الرواية والمعاني:

(١) في خزانة الأدب: «أنا الصّلتان والذي... »، وفي طبقات فحول الشعراء: «الصّلتاني الذي قد عرفتهم»، وفي معاهد التنصيص: «أنا الصلتان الّذ به قد علمتم».
عجز البيت في طبقات فحول الشعراء: «فهل أنت للفصل المبيّن سامع».

(٢) رواية البيت في نقائض جرير والفرزدق:

أتَتْني تميمٌ حين ضلّت حُلومُها ... لأحكمَ فيها بالذي أنا سـامعُ

عجز البيت في طبقات فحول الشعراء: «فهل أنت للفصل المبيّن سامع»، وفي كتاب الأمالي: «فإنّي لَبالفَصْل...».

(٣) في طبقات فحول الشعراء: «كما رجع الأعشى...»، وفي خزانة الأدب: «وما لتميم من قضائي...».
في هذا البيت يشير الصلتان إلى خبر أشهر منافرة في الجاهلية بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة، وكان الأعشى قد غلّب عامراً على علقمة بالباطل، وزعم أنهما حكّماه، وخبر هذه المنافرة في الأغاني: ١٦/ ص٢١٥-٢٢٧.

(٤) ولم يَرْجِع الأعشى قضيةَ جَعْفَرٍ وليس لحكمي آخِرَ الـدَّهْرِ راجـعُ
(٥) سأقضي قضاءً بَيْنهم غيرَ جائِرٍ فهـل أنـتَ للحكـم المبـيِّنِ سـامِعُ
(٦) قضاء امرئٍ لا يتّقي الشَّتْمَ منهمُ وليسَ لـه في المـدحِ مـنهم منـافِعُ
(٧) قضاءَ امرئٍ لا يرتشي في حكومةٍ إذا مال بالقاضي الرُّشـا والمطـامعُ
(٨) فإنْ كُنْتُما حكّمْتُماني فَأنْصِتا ولا تجزعـا وَلْيَـرْضَ بـالحقِّ قـانِعُ
(٩) فإنْ ترضيا أو تجزعا لا أقِلْكُما وللحقِّ بين النـاس راضٍ وجـازِعُ

الروايـة والمعاني:

(٤) في طبقات فحول الشعراء: «فما رجع الأعشى قضيّة عامرٍ»، وفي خزانة الأدب: «... من قضائي...»، وجعفر المذكور في البيت: هو جعفر بن كلاب الذي تفرّع عنه بنو الأحوص قوم علقمة، وبنو مالك قوم عامر.

(٦) رواية البيت في طبقات فحول الشعراء:

«قضاءَ امرئٍ لا يرهَبُ الشّتْمَ منكم وليسَ له في الحكم منكم منافِعُ»

وعجز البيت في خزانة الأدب: «وليس له في الحمد منهم منافع».

(٧) الرُّشا: بضم الراء وكسرها جمع الرشوة بضم الراء وكسرها، وهي ما يعطى لقضاء مصلحة، أو ما يعطى لإحقاق باطل أو إبطال حق.

(٨) في خزانة الأدب: «فاصْمِتا...بالحكم قانع».

(٩) لا أقِلْكُما: من الإقالة، وهي رفع العقد، فإنه عقد له في الحكم عليهما كما زَعَم.

(١٠) فَأقسِمُ لا آلو عن الحق بينَهُمْ — فإن أنا لم أعْدِل فقلْ أنتَ ضالِعُ
(١١) فإنْ يَكُ بَحْرُ الحنظلِيَّيْنِ واحداً — فما تستوي حيتانُهُ والضّفادعُ
(١٢) وما يستوي صَدْرُ القناةِ وَزُجُّها — وما يستوي شُمُّ الذُّرى والأكارعُ
(١٣) وليس الذُّنابى كالقُدامى وَرِيشِه — وما تستوي في الكفِّ منك الأصابعُ

الرواية والمعاني:

(١٠)في أمالي القالي: «...فقل أنتَ ظالعُ». أقسم لا آلو: أي لا أقصِّر من الألْو وهو التقصير والإبطاء. ضالع: أي مائل عن الحق. ظالع: من ظلع البعير والرجل، إذا غمز في مشيه، وهو شبيه بالعرج.

(١١)في كتاب الحيوان، ونقائض جرير والفرزدق: «فإن يك...زاخراً»، وفي فصل المقال: «لئن كان بحر...» وفي خزانة الأدب: «فما يستوي...».

الحنظليّين: يربوع بن حنظلة قوم جرير، ومالك بن حنظلة قوم الفرزدق.

(١٢)عجز البيت في فصل المقال، والتمثيل والمحاضرة للثعالبي ونهاية الأرب: «وما تستوي في الراحتين الأصابع»، وهو عجز البيت (١٣).

في أمالي القالي، ومعاهد التنصيص، وخزانة الأدب: «وما يستوي شم الذرى والأجارع»، وهو أنسب للسياق.

الزُّج: الحديدة في أسفل الرمح. شم الذرا: أي جبال شم الذرا، يقال جبل أشم: أي طويل عال، والذرى: جمع ذروة، وهو أعلى الشيء. الأكارع: جمع كُراع، وهو في الغنم والبقر بمنزلة الوظيف في الفرس والبعير، وهو مستدق الساق. الأجارع: جمع أجرع، وهو رملة مستوية لا تنبت شيئاً، ومؤنثة جرعاء.

(١٣)الذّنابى: بضم الذال: ذنب الطائر، وهو أكثر من الذنب. والقدامى: بضم القاف، إحدى قوادم الطائر، وهي مقاديم ريشه، وهي عشر في كلّ جناح، ويقال: قادمة أيضاً وجمعها قوادم.

(١٤) ألا إنّما تَحْظى كُلَيبٌ بِشِعْرِها ... وبالمَجْـدِ تَحْظـى دارِمٌ والأقـارِعُ
(١٥) وَمِنهم رُؤوسٌ يُهْتَدى بصدورِها ... والأذنـابُ قِـدْماً للـرؤوسِ توابِـعُ
(١٦) أرى الخَطَفى بذّ الفَرَزْدَقَ شِعْره ... ولكـنّ خـيراً مـن كُلَيْـبٍ مُجاشِـعُ
(١٧) فيا شاعراً لا شاعرَ اليومَ مِثْلُه ... جريـرٌ ولكـنْ في كليـب تواضُـع
(١٨) جريرٌ أشدُّ الشاعِرين شكيمةً ... ولكـنْ عَلَتْـه الباذخـاتُ الفـوارعُ
(١٩) ويرفُع مِنْ شَأْنِ الفَرزدقِ أنّه ... لـه بـاذخٌ لِـذي الخسيسةِ رافِـعُ

الرواية والمعاني:

(١٤) عجز البيت في طبقات فحول الشعراء، ومعجم الشعراء: «وبالمجد تحظى نهشل...». تحظى: من الحظوة بمعنى الافتخار.دارم: هو دارم بن مالك بن حنظلة، من قوم الفرزدق. الأقارع: أراد به الأقرعين، وهما: الأقرع بن حابس وأخوه مرثد التميميان (الاشتقاق: ص٢٣٩)، والأقرع وأخوه من رهط الفرزدق.

(١٦)الخَطَفى: اسم جَدّ جرير. بذّه: غلبه. التواضع: الانحطاط من الذل، والوضيع: الدنيء من الناس.

(١٧)في مجمع الأمثال، وفصل المقال: «أرى شاعراً»، وفي اللسان، وخزانة الأدب: «أيا شاعراً...». عجز البيت في موضع آخر من خزانة الأدب: «ولكنّ خيراً من كلاب....».

(١٨)الشكيمة: الشدّة، يقال: فلان ذو شكيمة: إذا كان لا ينقاد، وكان شديد النفس أبيّاً. الباذخات: المراتب العاليات. الفوارع: العوالي، يقال: فرعتُ قومي: أي علوتهم بالشرف وغيره.

(١٩)عجز البيت في نقائض جرير والفرزدق، وطبقات فحول الشعراء: «ينوء لحيٌّ في الخسيسةِ رافعُ».

(٢٠) وقد يُخمدُ السَّيْفُ الدَّدانُ بِجَفْنِه وتلقاه رثّا غِمْدُه وهو قاطِعُ
(٢١) يناشدني النصرَ الفرزدقُ بَعْدَما ألَحّت عليه من جريرٍ صَواقِعُ
(٢٢) فَقُلْتُ له إنّي ونَصْرَك كالذي يثبِّتُ أنفاً كَشَّمَتْهُ الجوادعُ
(٢٣) وقالت كُلَيبٌ قد شَرُفْنا عليكم فقلتُ لها: سُدّتْ عليك المَطالعُ

الرواية والمعاني:

(٢٠) السّيف الدّدان: الذي لا يقطع ولا غَناء فيه. الجفن: قُراب السيف، وهو الغمد أيضاً. الرث: البالي.

(٢١)الصواقع: جمع صاقعة، وهي لغة في الصاعقة.

(٢٢)في المؤتلف والمختلف: «وقلت له... يُنبِّتُ أنفاً....». ونقل البغدادي عن كتاب للمبرد: «هَشمَته الجوادع». كشم أنفه: من الكشم، وهو قطع الأنف من أصله. الجوادع: جمع جادعة، وهي آلات الجدع، أو كلّ ما يقطع به.

(٢٣)كليب: قوم جرير، وهو كليب بن يربوع بن حنظلة.

تخريج الأبيات:

الأبيات جميعها في الشعر والشعراء: (ص٣٦٧-٣٦٨)، وأمالي القالي: (٢/ ص١٤١-١٤٢)، وخزانة الأدب: ٢/ ص١٧٦-١٧٧.

الأبيات: (١، ٢، ٣، ٥، ٦، ٨، ١١-١٤) في معاهد التنصيص: ١/ ص٧٥-٧٦.

الأبيات: (١، ١٦-١٨، ٢١، ٢٢) في المؤتلف والمختلف: ص٢١٤.

الأبيات: (١، ١١، ١٢، ١٧) في فصل المقال: ص٤١٥.

الأبيات: (١، ١٨، ١٩، ١٤) بهذا الترتيب في معجم الشعراء: ص٤٩.

الأبيات: (١٤، ١، ٢، ٦، ٣، ١١، ١٧، ١٩، ٢١) بهذا الترتيب في طبقات فحول الشعراء: ١/ ص٤٠٣-٤٠٤.

البيت: (١) في سمط اللآلئ: ص٥٣٢.

البيتان: (٩، ١٥) في بهجة المجالس: ٢/ ص٥٨٦.

الأبيات: (٢، ١١ – ١٤، ١٧) في الحماسة البصرية: ٢/ ص٣٠٣.

الأبيات: (٢، ١٧، ١٩، ١١) بهذا الترتيب في نقائض جرير والفرزدق: ص١٠٥.

البيتان: (١١، ١٢) في التمثيل والمحاضرة: ص٧١، ونهاية الأرب: ٣/ ص٧٧، ونزهة الأبصار في محاسن الأشعار: ص٢٨٠.

البيت: (١١) في كتاب الحيوان: ٥/ ص٥٣١، وصدر البيت في سمط اللآلئ: ص٧٦٦، وخزانة الأدب: ٢/ ص١٧٤.

البيت: (١٤) في كتاب الاشتقاق: ص٣٣٣.

الأبيات: (١٦-٢٣) في مسالك الأبصار: ١٤/ ص١٢٢.

البيتان: (١٦، ١٨) في جمهرة الأمثال: ٢/ ص٢٦٤، وخزانة الأدب: ٤/ ص٢٧٢، والمقتضب: ٤/ ص٢١٥.

البيت: (١٦) في الزاهر في معاني كلمات الناس: ١/ ص٤٦١.

البيت: (١٧) في الكامل للمبرد: ص١٢٩١، ومجمع الأمثال: ٣/ ص٢٧٦، واللسان (كرب)، وخزانة الأدب: ٢/ ص١٧٤. وورد البيت منسوباً إلى خليد عينين[٤٠] في كتاب المستقصى في أمثال العرب: ٢/ ص٣٤١، وأظن الزمخشري وَهِمَ في ذلك.

ثالثاً: القصيدة العينية (مضامين وخصائص فنية)

هذه القصيدة من الشعر الموثقة نِسْبَتُه إلى الصّلَتان العبدي، فلا نجد -فيما بين أيدينا من مصادر- أحداً ينازعه في نسبة هذه القصيدة، أو في نسبة أيّ بيت من أبياتها. وبعد أن وثّقنا نِسْبتها إلى الصّلتان وقارنّا بين الروايات المختلفة لأبياتها، واستقصينا مصادر تخريجها فإننا ننتقل إلى دراسة مضامينها وخصائصها الفنية:

تتناول أبيات هذه القصيدة قضية شغلت الرواة والشعراء في عصر بني أمية، وما تلاه من عصور، وهي أيّهما أشعر جرير أم الفرزدق؟ وقد حاول الصَلَتان أن يدلي بدلوه في هذه القضية، فنظم قصيدته هذه في مجال المنافسة بين الشاعرين جرير والفرزدق.

جاءت هذه القصيدة في ثلاثة وعشرين بيتاً، موزّعة على مقدمة وموضوع. جاءت المقدمة تمهيداً لما سيحكم به الصّلتان بين الشاعرين، وجاء ا لموضوع مصوّراً للحكم ومفصّلاً لجزئيّاته.

بدأ الصلتان قصيدته بمقدمة اشتملت على عشرة أبيات، عرّف فيها بنفسه، وبأنه إذا ما حُكّم فإنه سوف يصدع في حكمه بالحق، وأنّ تميماً قد أتته تطلب منه هذا الحكم، حين تهيّب قضاتها أن يفصلوا بين الشاعرين. وهو لهذا سوف يأتي لهم بالحكم الفاصل في هذه القضيّة، وسينفذ حكمه بين الشاعرين، كما أنفذ الأعشى حكمه بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة في مفاخرتهما التي جرت في الجاهلية.

وإذا كان حكم الأعشى قد نفذ، ولم تكن فيه رجعة، فإنّ حكمه أيضاً لن تكون فيه رجعة. وهو سيقضي بينهما قضاءً لا جور فيه، قضاء من لا يخشى ذمّهما، ولا يطمع في مدحهما، قضاء لا رشوة فيه إذا كان من القضاة من يرتشي ليميل في حكمه، يقول الصلتان:

أنـا الـصَّلَتانيُّ الـذي قـد عَلِمْـتُم ... متى ما يُحَكّمْ فهو بـالحقّ صـادعُ
أتَـتْني تَـميمٌ حـين هابَـتْ قُـضاتها ... وإنّـي لَبِالْفَـصْلِ المبـيِّنِ قـاطِعُ
كما أنفَـذَ الأعـشى قـضيّةَ عـامرٍ ... ومـا لتمـيمٍ في قـضائي رواجـعُ
ولم يَرْجِعِ الأعـشى قـضيةَ جَعْفَـرٍ ... وليس لحكمي آخِرَ الـدّهرِ راجـعُ
سأقضي قـضاءً بَيْـنَهُم غـيرَ جـائِرٍ ... فهـل أنـتَ للحكـم المبيِّنِ سـامِعُ
قضاء امرئٍ لا يتّقي الـشُّتْمَ مـنهمُ ... وليسَ لـه في المـدحِ مـنهم منـافِعُ
قضاءَ امرئٍ لا يرتشي في حكومـةٍ ... إذا مال بالقاضي ارُّشـا والمطـامعُ

والصّلَتان -في هذه الصفات التي وصف بها نفسه- متأثر بما نَعَتَ به الأعشى نفسه حين قال في حكومته المشهورة [(٤١)]:

حكَّمْتُمـوني فقـضى بيـنكم ... أبلـجُ مثـلُ القمـرِ البـاهرِ
لا يأخـذ الرشـوةَ في حُكْمِـه ... ولا يبـالي غَـبَنَ الخاسـرِ
لا يرهـبُ المنكِـرَ مـنكم ولا ... يرحـوكُمُ إلاّ نقـى الآصِـرِ
يـا عجـبَ الـدهر متـى سُـوِّيا ... كم ضاحك من ذا ومـن وخاسـرِ

ويخاطب الصَّلَتان جريراً والفرزدق قائلاً: إن كنتما قـد حكّمتمـاني فلْتقـبلا بحكمي في غير جزع، ولْتَرضيا بما أحكُم. ويرى أن الحكم في أيّة قـضيّة يقبـل بـه أناس، ويرفضه آخرون، ولكنه لا يهتم بذلك؛ لأنه -كما يقول- لـن يحيـد عـن الحكم الحق، فإن حاد أو جار في الحكم فليقل من يسمعه: إنك قد انحرفـت عـن الحق ومِلْتَ عنه، يقول:

فـإن كُنْتُمـا حكّمْتُمـاني فَأنْـصِتا ... ولا تجزعها وَلْيَـرْضَ بـالحقّ قـانِعُ
فـإن ترضـيا أو تجزعـا لا أُقِلْكُمـا ... وللحقّ بين النـاسِ راضٍ وجـازِعُ
فَأقـسِمُ لا آلـو عـن الحـق بيـنَهُمْ ... فإن أنا لم أعْدِل فقلْ أنـتَ ضـالِعُ

وينتقل الصّلتان من هذه المقدمة إلى بيان حكمه بين الشاعرين، ولكنه لا يدلي به مباشرة، وإنما يعتمد على التصوير وتوليد المعاني، فيقول:

فإنْ يَكُ بَحْرُ الحنظِليَّيْنِ واحداً　　فما تستوي حيتانُه والضفادعُ
وما يستوي صَدْرُ القناةِ وزُجُّها　　وما يستوي شُمُّ الذُرى والأكارعُ
وليس الذُنابى كالقُدامى وَرِيشِهِ　　وما تستوي في الكفِّ منك الأصابعُ

ونستدل من هذه الأبيات أنه لن يساوي بين الشاعرين، ولكنّه يعلن حكمه في صراحة ووضوح، فيقول:

ألا إنّما تَحْظى كُلَيبٌ بِشِعْرِها　　وبالمجْدِ تَحْظى دارِمٌ والأقارعُ

وينطلق من هذا البيت الذي هو بمثابة الحكم في هذه القضية إلى تفصيل هذا الحكم، فيرى أنّ دارم (قوم الفرزدق) منهم الرؤوس الذين يهتدى بهم، وكُلَيْب (قوم جرير) أذناب لهم في المجد والسيادة. وجرير فاق الفرزدق في الشعر، ولكنّ تواضع قومه يَحُطُّ من شأنه، وجرير أشد من الفرزدق شكيمة في الشعر، ولكنّ الفرزدق علاه بفخره، الذي يستند فيه إلى أمجاد قومه وأحسابهم. فنَسَبُ الفرزدق يرفع من قدْر شعره، ولكنّ جريراً - برغم وضاعة نسبه- له مكانته العليا في جودة الشعر، فهو أشبه بسيف قاطع في غمد رث، يقول:

وَمِنهم رُؤوسٌ يُهْتَدى بصدورِها　　والأذنابُ قِدْماً للرؤوسِ توابِعُ
أرى الخَطَفى بذّ الفَرَزْدَقَ شِعْره　　ولكنّ خيراً من كُلَيْبٍ مُجاشِعُ
فيا شاعراً لا شاعرَ اليومَ مِثْلُه　　جريرٌ ولكنْ في كليب تواضُعُ
جريرٌ أشدُّ الشاعِرين شكيمةً　　ولكنْ عَلَتْه الباذخاتُ الفوارعُ
ويرفَع مِنْ شأنِ الفَرزدقِ أنّه　　له باذخٌ لِذي الخسيسةِ رافِعُ
وقد يُحْمدُ السَّيْفُ الدّدانُ بجَفْنِه　　وتلقاه رثّا غِمْدُه وهو قاطِعُ

إنّ الصَّلَتان -في هذه الأبيات- يفضّل شعر جرير على شعر الفرزدق وغيره من الشعراء، فهو (شاعر لا شاعر اليوم مثله): وهذا الحكم، الذي يرجّح كفّة جرير، يدخل في باب النقد الفني. ولكن الصلتان لا يكتفي بذلك، بل يدخل بعده المقياس الاجتماعي، الذي يرجح به كفة الفرزدق بعض الشيء، وهو مقياس يقوم على النسب، ولا علاقة له بفن الأدب. ولعل إتكاء الصلتان على هذا المقياس قد أبعده عن شعر الفرزدق، مما جعله لا يبدي فيه رأياً سوى وصفه بأنه سيف غير قاطع. وهذا الوصف يدل على أن شعر الفرزدق لا يصل إلى مستوى شعر جرير، ولا سيّما في موضوع شعر الهجاء، الذي كان جرير فيه أشد شكيمة، فهو أقدر عليه من الفرزدق وأكثر معرفة بطرائقه ومسالكه.

ويتحدّث الصّلتان عن الفرزدق وعَجْزه عن الوقوف بشعره أمام جرير، الذي سلط عليه (صواقعه)، أي هجاءه الموجع، الذي جدع أنفه. ويزعم أنّ الفرزدق قد لجأ إليه ليعينه على جرير، وكيف أنه اعتذر عن هذه الإعانة؛ لأنه لا يستطيع أن يثبّت أنفاً قد جُدِع، وكأن مساعدة الصلتان للفرزدق تشبه إعادة الأنف المجدوع إلى موضعه، وهذا أمر مستحيل، فيقول:

يناشِدني النصرَ الفرزدقُ بَعْدَما ... ألَحّت عليه من جريرٍ صَوَاقِعُ
فَقُلْتُ له إنّي ونَصْرَك كالذي ... يثبّتُ أنفاً كشَّمَتْهُ الجوادعُ

ويختم الصَّلَتان قصيدته بأن يلتفت إلى قبيلة كليب ليقول لها: لا تدّعي الشرف على دارم، فقد حكمتُ لشاعرك جرير في مجال الشعر، بينما سَدَّت عليك قبيلة دارم مطالع الشرف وسُبُلَها بما لها من أمجاد، يقول:

وقالت كُلَيبٌ قد شَرُفْنا عليكم ... فقلتُ لها: سُدّتْ عليك المَطالعُ

والصّلتان- في هذا البيت- يبدّد ما قد تظنه قبيلة جرير (كُلَيب)، عندما فضّل شاعرها، من أنها أفضل وأشرف من قبيلة الفرزدق، فيسارع إلى ردّ هذا الظن،

ويرى أن ذلك أمر لا يمكن وقوعه، لأن مجد قوم الفرزدق (دارم والأقارع) يحول دون الوصول إلى هذا الشرف، الذي ادّعته كُليب.

وبهذا ينتهي حُكْم الصَّلَتان في هذه القضيّة، وهو حُكْم لم يتوقف عند شاعرية الخصمين فحسب، بل امتد إلى قومهما، وكأنه يصدر حُكمين لا حُكْماً واحداً، فهو يفضل جريراً على الفرزدق في شعره، ويفضل الفرزدق على جرير في نسبه. وهذا يعني أنه اختلط عند الصلتان -كما أسلفنا- الحكم الفني النقدي بالحكم غير الفنّي، الذي قام على اعتبار النسب في التحكيم بين الشاعرين.

ونحن لا نجد -فيما بين أيدينا من مصادر- ما يشير إلى الذي طَلَب إلى الصّلتان أن يحكم بين الشاعرين، فعبارة ابن قتيبة: «اجتُمِع إليه في الحُكم بين جرير والفرزدق»[٤٢]، لا تفصح عن شيء في هذا الصدد. ولكنّ عبارة أبي عبيدة: «وكان جرير والفرزدق تحاكما إلى الصّلتان ففضّل الفرزدق بقومه، وفضّل جريراً بشعره»[٤٣]، قد يستدل منها أن الشاعرين حكّما الصّلتان، وطلبا إليه أن يقضي بينهما. والصّلتان نفسه يشير في مقدمة قصيدته إلى شيء من هذا، حيث زعم أن تميماً أتته لمّا تهيّب قضاتها الحكم بين الشاعرين:

أتَتْني تَميمٌ حين هابَتْ قُضاتها وإنّي لَبالْفَصْل المبيِّنِ قاطِعُ

ونحن نرجح أنّ الشاعرين لم يحكّما الصلتان بينهما، وإنما قام بحكومته من تلقاء نفسه؛ ليكون له ولقبيلته ذِكْر على أفواه الناس. وقد يكون الصّلتان رأى أنه متوسط المحلّ في شعراء عصره؛ لوقوعه بين جرير والفرزدق والأخطل وغيرهم من فحول الشعراء، فنظم هذه القصيدة لينبه ذِكْره، ويذيع صيته، وليدل على أنه وصل منزلة بَلغتْ به استحقاق التحكيم بين شاعرين شغلا الشعراء في عصرهما وفي العصور التالية. ولا نستبعد أيضاً أن يكون لحكومة الأعشى المشهورة أثر في توجيه الصّلتان إلى تناوُلِ هذا الموضوع، وبخاصة أنه ذكر حكومة الأعشى صراحة في قصيدته، وتأثر كثيراً بألفاظ الأعشى ومعانيه.

والسؤال الآن: ما موقف الشاعرين الخصمين من حكومة الصلتان؟ تذكر المصادر أن جريراً سخط من حكم الصّلتان؛ فهو كان يناضل بشعره ليثبت أنه يتفوق على الفرزدق، وأنّ قومه لا يقلّون رفعةً ومجداً عن قوم الفرزدق. لقد أكّدت حكومة الصلتان تفوّق جرير في الشعر، ونفت عن قومه المجد والرفعة، بل وصفتهم بالدناءة والحقارة، ولذا فإن جريراً لم يرض بحكومة الصلتان، على الرغم من أنّه فضّله على الفرزدق من جهة الشعر، لأنه اعتقد أن الصّلَتان قد غمط حقّه في المكانة الاجتماعية، حين جعل الفرزدق يتفوق عليه في شرف النسب، فقال يهجو(٤٤) الصّلتان وقومه، ويعيّرهم بالزراعة والاعتناء بالنخل(٤٥):

أَقولُ لِعَيْنٍ قد تَحَدّر ماؤها ... متى كان حُكْمُ الله في كَرَبِ النَّخْلِ

فأجابه الصلتان:

تُعَيّرنا بالنّخلِ والنّخلُ مالُنا ... ووَدَّ أبوك الكلبُ لو كان ذا نخلِ

وتذكر المصادر أنّ الفرزدق رضي عندما شرّفه الصّلتان على جرير وقومه، وقال: «إنما الشعر مروءة من لا مروءةَ له، وهو أخسّ حظ الشريف»(٤٦). وكيف لا يرضى الفرزدق، وهو الذي ظل يصارع جريراً بشعره؛ ليثبت أنّ قومه أفضل من قوم جرير، فحين يأتي الصّلتان الشاعر ويحكم له ولقومه بالمجد والرفعة، ويحكم على قوم خصمه بالخسّة والدناءة، فهذا حكم يسير في صالحه، ويؤيد ما يسعى إليه في شعره.

ويذكر ابن سلاّم أن الفرزدق علّق على قصيدة الصلتان قائلاً: «أمّا الشرف فقد عرفه، وأمّا الشّعر فَما للبحراني والشِّعر؟»(٤٧). فالفرزدق يرضى بحكم الصّلَتان من جهة النسب، ولا يقبل حكمه في شعره، فينفي عنه معرفته بالشعر. وكأنه لم يهتم كثيراً برأي الصّلتان في شعره، بقدر اهتمامه بالمكانة الاجتماعية التي جعله فيها.

ونبدأ حديثنا عن الخصائص والسمات الفنية لهذه القصيدة بتناول بنائها الخارجي، أو إطارها الشكلي. فهذه القصيدة من القصائد التي نطمئن إلى أنها وصلت إلينا كاملة، باتّفاق المصادر التي أَوْرَدَتْها، والتي ذكرناها في تخريج أبياتها. ولكنها برغم ذلك خَلَتْ من المقدمة الطللية والغزلية، تلك المقدمة التي ظلّت قائمة في عصر الصّلتان، وفي العصور التالية.

ولم يكن الصلتان بدْعاً بين الشعراء الذين لم يقدّموا لقصائدهم بمقدّمات غزلية، بل نجد من الشعراء في عصره، وفي العصور التي تلته يفعلون ذلك، حتى في العصر الجاهلي نجد قصائد لم يفتتحها أصحابها بالطلل أو بالغزل، وإنما شرعوا في موضوعهم الرئيسي دون تمهيد وبلا مقدمة. وفي أولئك الشعراء وأمثالهم ممن لم يمهدوا لقصائدهم بمقدمات غزلية، يقول ابن رشيق: «ومن الشعراء من لا يجعل لكلامه بسطاً من النسيب، بل يهجم على ما يريده مكافحة، ويتناوله مصافحة...» (٤٨).

أما هذه القصيدة من حيث الطول فمتوسطة في عدد أبياتها، فقد بلغت كما أسلفنا ثلاثة وعشرين بيتاً، وهي أطول قصيدة فيما وصل إلينا من شعر الصلتان. وقد يكون له قصائد أخرى أطول منها ولكنها لم تصل إلينا. ولعل عدم طول هذه القصيدة يرجع إلى أنها تتناول موضوعاً واحداً، ولا تنتظم عدة موضوعات. والاقتصار على فكرة معينة، وموضوع واحد لا يسمح -في الغالب- بكثرة الأبيات إلاّ لدى طويلي النفس من الشعراء.

ومن ناحية الوزن فالقصيدة نظمت على وزن البحر (الطويل)، وهذا الوزن يناسب الأغراض الجادة الفخمة التي تقوم على الجدل والإتيان بالحجج والبراهين لإثبات الأفكار.

ومما نلاحظه في وزن هذه القصيدة عدم التزام صاحبها بمبدأ التصريع في مطلعها، بمعنى أن يكون مصراعا البيت الأول من القصيدة متفقين في الكلمة الأخيرة التي هي قافية القصيدة. وبالنظر فيما بين أيدينا من قصائد ومقطوعات للصلتان العبدي فإنها عدا مقطوعة واحدة تخلو من التصريع، وهي بذلك تخالف ما جرى عليه الشعر في الجاهلية وصدر الإسلام، وهو أن تكون القصائد مصرّعة، وكون مقطوعاته تخلو من التصريع قد يجعلنا نرجّح أنها، أو بعضها لم تصل إلينا كاملة. ولكنّ هذه القصيدة وصلت إلينا كاملة، مما قد يدل على أنّ الصّلتان قد تخلى عن التصريع في قصيدته العينية.

أما قافيتها فقد جاءت على حرف العين، ولذلك فهي القصيدة العينية، وحرف العين من الحروف التي تأتي روياً بكثرة[٤٩]، ولذلك فقد أطلقوا على الراء، والدال، والنون، والميم، والباء، والياء، والعين اسم القوافي الذُّلل[٥٠]، لأنها يشيع استعمالها في قوافي الشعر. والعين أقلُّها استعمالاً، ولذلك فالقصائد العينية تكاد تكون قليلة في دواوين الشعراء مقارنة بغيرها من القوافي الذُّلل، وربما يعود ذلك إلى ما فيها من عسر بالنسبة إلى غيرها من القوافي الذلل.

وعيوب القافية من إقواء وإكفاء وإيطاء[٥١] لم يقع منها شيء في هذه القصيدة، بل جاءت قافيتها متمكنة في محلها، غير قلقة ولا نافرة. وإذا صحت رواية البيت الثاني على الصورة التي تفرد بروايتها أبو عبيدة في «نقائض جرير والفرزدق»، وهي:

أَتَنْبِي تميم حيث ضلّت حلومها ... لأحكم فيها بالذي أنا سامع

فهذا يعني أنّ هناك إيطاء في البيتين الثاني والخامس ناجم عن تكرار كلمة (سامع) في قافية هذين البيتين. ولكن هذه الرواية لم ترد في أي مصدر آخر، كما أن أبا عبيدة لم يورد البيت الخامس، لنقف على رواية عجزه عنده، فقد تكون له

رواية أخرى عند أبي عبيدة، أو أن هذا البيت قد يكون البيت الخامس في ترتيب أبيات القصيدة عنده، وآنذاك فلا إبطاء في القصيدة، وهذا هو الأرجح في رأينا.

وإذا لم يكن من السهل أن نحكم على لغة الشاعر وأسلوبه من خلال قصيدة واحدة، إلا أنه يمكننا القول: إنّ الصلتان في هذه القصيدة التزم بالأسلوب العربي الفصيح في أرقى صورة، فلا نجد في أبياتها خروجاً عن قواعد اللغة السليمة، وطرائقها في التعبير. وألفاظه في قصيدته هذه متجانسة تميل إلى القوة والجزالة دون توعر أو تعقيد، ولا نجده يستخدم الألفاظ الأجنبية أو المعربة، التي شاع استخدامها في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي. وفي الحديث عن لغة هذه القصيدة وألفاظها لا بأس في الإشارة إلى أنّ بعض أبياتها قد تعرضت لاختلاف كثير في بعض ألفاظها، فنحن نجد البيت الواحد، بل والشطر الواحد أحياناً يروى بألفاظ مختلفة وبروايات فيها تحريفات وتصحيفات.

وأسلوب القصيدة يكاد يمثل تطوراً ملحوظاً في بنائها الذي قام على أساس فكري متكامل في ذهن صاحبها، تتمثل فيه الوحدة الكاملة في عقله ووجدانه. فقد ذكرنا –في حديثنا عن مضامين هذه القصيدة- أنها تقوم على مقدمة وموضوع، شأنها شأن خطبة أدبية، جاءت مقدمتها تمهيداً لما سيحكم به الصلتان، وجاء الموضوع يبين الحكم، ويُفَصِّل القول فيه. وهي في بنائها على هذه الصورة تدل على تأثّر الصلتان بالحياة الفكرية في العصر الأموي، تلك الحياة التي تقوم على الجدل والإتيان بالحجج والبراهين لإثبات الأفكار. وإذا كان جرير والفرزدق قد ثقفا هذا الأسلوب القائم على الجدل والحوار في نقائضهما، فإن الصلتان العبدي ثقَف الأسلوب نفسه في التحكيم بين هذين الشاعرين ولا غرابة في ذلك فقد كان الصلتان من شعراء الأحزاب السياسية، إذ وقف إلى جانب علي بن أبي طالب، وأيد موقفه وهاجم خصومه.

ومن الظواهر الأسلوبية في هذه القصيدة ميل صاحبها إلى التأثر بمعاني القرآن الكريم، ولكنه تأثر لم يصل إلى حد الاقتباس باللفظ. فهو في الشطر الثاني من قوله:

أنا الصَّلَتاني الذي قد علمتم ... متى ما يُحَكَّم فهو بالحق صادق

يلتفت إلى قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾[٥٢].

وهو في عجز البيت:

أتَثْني تَميمٌ حين هابَتْ قُضاتها ... وإنّي لَبِالْفَصْلِ المبيِّنِ قاطِعُ

متأثر بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ ﴾[٥٣].

وتأثُّر الصلتان بألفاظ الأعشى ومعانيه في قصيدته التي غلّب فيها عامر بن الطفيل على علقمة بن علاثة أمر جليّ وواضح. وليس غريباً أن يلتفت الصلتان إلى معاني تلك القصيدة، فقد ذكر الأعشى وحكمه صراحة في قصيدته[٥٤]، واتخذ موقفاً مماثلاً لموقف الأعشى في إنفاذ الحكم وعدم التراجع عنه.

وبالإضافة إلى الأبيات التي ذكرناها في سياق تأثر الصلتان بقصيدة الأعشى، فإننا نورد قوله:

سأقضي قضاءً بَيْنُهم غيرَ جائِرٍ ... فهل أنتَ للحكم المبيِّنِ سامِعُ

حيث يلتفت إلى قول الأعشى:

أوَّلُ الحكم على وجهه ... ليس قضائي بالهوى الجائر

وهو في قوله:

فإن ترضيا أو تجزعا لا أقِلْكُما ... وللحقِّ بين الناسِ راضٍ وجازِعُ
فَأقسِمُ لا آلو عن الحق بينَهُمْ ... فإن أنا لم أعْدِل فقلْ أنتَ ضالِعُ

متأثر بقول الأعشى:

إنّـــي آليـــتُ علـــى حَلْفـــةٍ ... ولم أُقِلْـــهُ عَثْـــرةَ العـــاثِرِ

وفيما يتعلق بالمعاني في هذه القصيدة فإننا نجد الصّلتان قد لجأ إلى التكـرار في المعاني الواردة في مقدمة قصيدته، وذلك عندما ركـز علـى أنّـه سـيتوخى الحـق والعدل في حكمه، الذي سيكون فاصلاً وواضـحاً ولا رجعـة فيـه. فهـو -كمـا يقول- يصدع بالحق، ويحكم بالقول الفصل، وقضاؤه لا رجعة فيه، وهـو قـضاء غير جائر، وهو حكـم مبـيّن، لا يتـأثر بخـوف أو رشـوة. هـذه المعـاني وغيرهـا عرضها بألفاظ مختلفة، للتأكيد والتثبيت، والتأثير في النفوس.

وعندما ننتقل إلى الحديث عن الـصورة الأدبيـة في هـذه القـصيدة فإننـا نجـد الشاعر يلجأ إلى التشبيه في عرض معانيه، فهو يصور الحنظليَّين (يربوع بن حنظلة قوم جرير، ومالك بن حنظلة قوم الفرزدق) بـالبحر، الـذي وإن بـدا في ظـاهره واحداً، إلا أنه في حقيقته ليس في درجـة واحـدة، فهـو مثـل البحـر الحقيقـي لا تستوي حيتانه وضفادعه، ومثل قناة الرمح لا يـستوي صـدرها وزجّهـا، ومثـل الجبال الشّم التي لا تستوي والأراضي الرملية القاحلة، ومثل ريش الطائر التي لا تستوي ذناباه وقوادمه، ومثل الكف التي لا تستوي فيها الأصابع، يقول:

فإنْ يَـكُ بَحْـرُ الحنظلِيَّـيْنِ واحـداً ... فمـا تـستوي حيتانـه والـضفادعُ
وما يستوي صَـدْرُ القنـاةِ وَزُجُّهـا ... وما يستوي شُمُّ الذّرى والأكـارعُ
وليس الذُّنابى كالقُـدامى وَرِيـشِهِ ... وما تستوي في الكفِّ منك الأصابعُ
ألا إنّمـا تَحظـى كُلَيـبٌ بِـشِعْرِها ... وبالمَجْـدِ تَحْظـى دارمٌ والأقـارعُ
ومِنْهم رُؤوسٌ يُهتَـدى بـصدورِها ... والأذنابُ قِـدْماً للـرؤوسِ توابِـعُ

وجرير - برغم وضاعة نسبه- له مكانته المرموقة في عالم الشعر، وهو أشبه بسيف قاطع في غمد رث، يقول في الحديث عن دارم وكليب:

وقد يُخمدُ السَّيف الدّدانُ بجَفْنِه وتلقاه رثّا غِمْدُه وهو قاطِعُ

وهذه صورة رائعة جميلة، لا يقدر عليها إلا شاعر كبير مثل الصلتان.

الهوامش والتعليقات

(١) صدر هذا الكتاب عن مؤسسة جائزة عبدالعزيز بن سعود البابطين للإبداع الشعري، سنة ٢٠٠٢.

(٢) ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم)، **الشعر والشعراء**، حقّقه: عمر الطباع، دار الأرقم لطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٧، ط١، ص٣٦٧-٣٦٨.

(٣) ابن سلام (أبو عبدالله محمد)، **طبقات فحول الشعراء**، حقّقه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٤، ص٤٠٣-٤٠٤.

(٤) القالي (أبو علي إسماعيل بن القاسم)، **الأمالي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨، ج٢/ ص١٤١.

(٥) البغدادي (عبدالقادر بن عمر)، **خزانة الأدب**، حقّقه: عبدالسلام هارون، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٨٤، ط١، ج٢/ ص١٧٦.

(٦) البغدادي (عبدالقادر بن عمر)، **خزانة الأدب**، ج٢/ ص١٧٦-١٧٧.

(٧) انظر تخريج الأبيات ص١٤ من بحثنا هذا.

(٨) ابن سلام (أبو عبدالله محمد)، **طبقات فحول الشعراء**، ج١/ ص٢٩٧-٢٩٨.

(٩) الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين)، **الأغاني**، حقّقه: عبدالستار أحمد فراج، دار الثقافة، ١٩٥٩، بيروت، ج٨/ ص١٥-٣٠.

(١٠) ابن سلام (أبو عبدالله محمد)، **طبقات فحول الشعراء**، ج١/ ٢٩٨.

(١١) الراعي النميري (عُبيد بن حُصين)، **ديوان الراعي النميري**، جمعه وحقّقه: راينهرت فايبرت، المعهد الألماني للبحوث الشرقية، بيروت، ١٩٨٠، ص١٣٩.

(١٢)الراعي النميري (عُبيد بن حُصين)، **ديوان الراعي النميري** (المقدمة: ك).

(١٣) الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين)، **الأغاني**: ج٨/ ص١٨. وانظر أيضاً **ديوان سراقة بن مرداس البارقي**، حقّقه: حسين نصار، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،

القاهرة، ط١، ١٩٧٤، ص٧. وسراقة بن مرداس شاعر عراقي يماني الأصل، كان بينه وبين جرير مهاجاة، وله ديوان شعر صغير مطبوع (الأعلام: ٣/ ص٨٠) ولمزيد من التفصيل عن أخباره انظر: مقدمة ديوانه: ص١-٢٦.

المِخْمَر: اللئيم.

(١٤) شوقي ضيف (الدكتور)، **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط٨، ص١٨٤-١٨٥. ولمزيد من التفصيل انظر الكتاب نفسه: ص١٣١ وما بعدها.

(١٥) ابن الكلبي (هشام بن محمد)، **جمهرة النسب**، حقّقه: ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٣، ط١، ص٥٩٠. وانظر أيضاً: ابن حزم (علي بن أحمد)، جمهرة أنساب العرب، حقّقه: عبدالسلام هارون، دار المعارف بمصر، ١٩٦١، ص٢٩٥.

(١٦) ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم)، **الشعر والشعراء**: ص٣٦٧.

(١٧) البكري (أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز)، **سمط الآلئ**، حقّقه: عبدالعزيز الميمني مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج٢/ ص

(١٨) البغدادي (عبدالقادر بن عمر)، **خزانة الأدب**: ج٢/ ١٨١.

(١٩) البكري (أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز)، **سمط الآلئ**، ج١/ ص٥٣١.

(٢٠) المرزباني (أبو عبيد محمد بن عمران)، **معجم الشعراء**، حقّقه: عبدالستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٦٠، ص٤٩.

(٢١) ابن جنّي (أبو الفتح عثمان)، **المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة**، دار الهجرة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٨، ط١، ص١٩٧، وانظر أيضاً: تاج العروس (صلت).

(٢٢) ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن)، **الاشتقاق**، حقّقه: عبدالسلام هارون، القاهرة، ١٩٥٨، ص٣٣٣.

(٢٣) ابن جنّي (أبو الفتح عثمان)، **المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة**، ص١٩٧.

(٢٤) الآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر)، **المؤتلف والمختلف**، حقّقه: عبدالستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١، ص٢١٥.

(٢٥) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، **الحيوان**، حقّقه: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦، ج٣/ ص٤٧٧.

(٢٦) العاني، عبدالرحمن عبدالكريم، **البحرين في صدر الإسلام**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢١هـ، ط١، ص١٩.

(٢٧) ابن الكلبي (هشام بن محمد)، **جمهرة النسب**، ص٥٨٢-٥٨٤، وانظر أيضاً: ابن حزم (علي بن أحمد)، جمهرة أنساب العرب: ص٢٩٥.

(٢٨) د. عبد الحميد المعيني، **شعراء عبدالقيس وعشرهم في العصرين الإسلامي والأموي**، ص٤٥.

(٢٩) الآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر)، **المؤتلف والمختلف**: ص٢١٤.

(٣٠) ابن خلكان (أحمد بن محمد)، **وفيات الأعيان**، حققه: إحسان عباس، دار صادر بيروت، ج٥/ ص٣٥٦.

(٣١) د. عبدالحميد المعيني، **شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي**، ص٤٦.

(٣٢) القالي (أبو علي إسماعيل بن القاسم)، **ذيل الأمالي والنوادر**، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧، ص٨. وزياد الأعجم: من شعراء العصر الأموي، كنيته أبو أسامة، فارسي الأصل. لقّب بالأعجم للكنته الفارسية، مدح عدداً من الولاة الأمويين في خراسان وفارس، له ديوان شعر مجموع، توفير سنة ١٠٠هـ.

(٣٣) انظر أبيات القصيدة في **الشعر والشعراء**: ص٣٦٨، وانظر الأبيات وشرحها في: الشنتمري (الأعلم) يوسف بن سليمان، **شرح ديوان الحماسة**، حققه: علي المفضّل حمودان، دار الفكر المعاصر، ١٩٩٢، بيروت، ط١، ص٧٢٧-٧٢٩.

(٣٤) المرزباني (أبو عبيد محمد بن ع مران)، **معجم العشراء**، ص٤٩.

(٣٥) البغدادي (عبدالقادر بن عمر)، **خزانة الأدب**، ج١/ ص١٨٤.

(٣٦) أبو تمام (حبيب بن أوس)، **ديوان الحماسة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، ط١، ص٢٢٨.

(٣٧) انظر البيتين وتخريجهما في كتابنا: شعر الصَّلَتان العبدي، ص٧٦.

(٣٨) انظر الأبيات وتخريجها في كتابنا: شعر الصّلتان العبدي، ص٧١.

(٣٩) الزركلي (خير الدين)، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢، ط١٠، ج٥/ ص١٩٠. وانظر التمثيل والمحاضرة للثعالبي ص٦٦، تعليق المحقق، وبهجة المجالس للقرطبي: ١/ ص٢١٠، تعليق المحقق.

(٤٠) وهو أحد بني عبدالله بن دارم، كان ينزل في قرية بالبحرين يقال لها عينين فنسب إليها (**سمط اللآلئ**: ص٧٦٦).

(٤١) انظر تفصيل منافرة عامر وعلقمة وخبر الأعشى معهما في **الأغاني**: ج١٦/ ص٢١٥-٢٢٧، **وأبيات الشعر** من قصيدة طويلة في **ديوان الأعشى**، شرح يوسف فريحات، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢، ط١، ص١٤١-١٤٨.

(٤٢) ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم)، **الشعر والشعراء**، ص٣٦٧.

(٤٣) أبو عبيدة (معمر بن المثنى)، نقائض جرير والفرزدق، مطبعة بريل، مدينة ليدن، ١٩٠٥، ص١٠٥٠.

(٤٤) ورد البيت باختلاف في الألفاظ في: الآمدي (الحسن بن بشر)، المؤتلف والمختلف: ص٢١٤، وابن سلام (أبو عبدالله محمد)، طبقات فحول الشعراء، ص٤٠٥، والبغدادي (عبدالقادر بن عمر)، خزانة الأدب: ج٢/ ص١٧٨.

(٤٥)الآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر)، المؤتلف والمختلف: ص٢١٤.

(٤٦)ابن سلاّم (أبو عبدالله محمد)، طبقات فحول الشعراء: ص٤٠٤ والبحرانيّ نسبة إلى البحرين، وهي منازل عبدالقيس التي منها الصلتان.

(٤٧)ابن رشيق (أبو علي الحسن بن رشيق) العمدة في صناعة الشعر ونقده، حقّقه: محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٩٣٤، ط١، ج١/ ص١٣١.

(٤٨)القرطاجني (أبو الحسن حازم بن محمد)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حققه: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦، ط٣، ص٢٦٩، ولمزيد من التفصيل: انظر المصدر نفسه، ص٢٤٣-٢٦٨.

(٤٩)إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، دار القلم، بيروت، ص٢٧٥.

(٥٠)المجذوب (عبدالله الطيب)، المرشد إلى فهم العرب وصناعتها، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٥، ط١، ج١/ ص٤٦.

(٥١)الإقواء: اختلاف إعراب القوافي، كأن تكون واحدة مرفوعة والأخرى منصوبة.

الإكفاء: الاختلاف في تصريف القوافي. الإيطاء: إعادة القافية لغير معنى جديد.

(٥٢)سورة الحجر، آية ٩٤.

(٥٣)سورة الطارق، آية ١٣.

(٥٤)انظر القصيدة وتخريجها ص ١٨-٢٢ من دراستنا هذه.



الفصل الثاني

بلال بن جرير

وما تبقّى من شعره

(جمع وتحقيق)

توطئة:

إنَّ تنبُّهي لِبلال بن جرير وَشِعْرِه يأتي في إطار اهتمامي بالمُقِلّين من الشعراء القدامى، ممّن لم تَصِلْ إلينا دواوينهم الشِّعرية، أو مِمّن لم يقم الرواة واللغويّون بجمع أشعارهم.

وقد أخرجْتُ من شِعْر المُقِلّين القدامى «شِعْر الحُصَين بن الحُمام المُرِّيّ»، وهو من فحول الشعراء الجاهليين، و«شِعْر عَقِيل بن عُلّفَة المُريّ» وهو من فحول الشعراء الإسلاميين، و«شِعْر عَديّ بن حاتم الطائي» وهو من مخضرمي الجاهلية والإسلام، و«شِعْر مالِك بن أسماء الفَزاريّ» وهو من الشعراء المقِلّين في العصر الأموي. وهأنذا أقوم بجمع وتحقيق شِعْر بلال بن جرير، وهو من الشعراء المُقلّين الهجّائين في العصر الأموي.

وعلى الرغم من الجهود المتواصلة التي بُذلتْ للعناية بشعرنا القديم دراسةً وتحقيقاً وشرحاً، فإنَّ ثمّة كثيرين من شعرائنا القدامى المقلّين بقوا مغمورين، لم يحظَوا بعناية الباحثين والدارسين كما حظي غيرهم، وربّما كان لقلة شعرهم أثرٌ في عزوف الباحثين عن جمع شعرهم وتحقيقه. ومن هؤلاء بلال بن جرير الذي لم يقم أحد – فيما نعلم– بجمع شعره وتحقيقه، ولذا فقد رأيتُ أن أقوم بجمع شعره وتحقيقه وتخريجه.

وبالإضافة إلى أنّ بلالاً من الشعراء المقلّين مما يجعله في دائرة اهتمامي، فإن اهتمام ابن قتيبة به – في ترجمته لأبيه جرير – كان دافعاً إلى جَمْع شعره وتحقيقه؛ إذ عدّه أفضل أبناء جرير وأشعرهم، وابن قتيبة لا يحفل، غالباً، إلاّ بالشعراء المجيدين، وإن كانوا من المقلّين.

وقد دأبت المصادر على أن تـذكر بلالاً،وتـورد بعـض أخبـاره، عَرَضـاً في سياق حديثها عن أبيه جرير وأخباره، ومن هنا فإن التعريـف بـه وجَمْـعَ شِـعْره وتحقيقه يكتسب أهميّة خاصة من هذه الناحية.

ولا بأس في الإشارة هنا إلى ما كنتُ قد ذكرتُه -في مقدمة كتابي «الحُـصَين بن الحُمام المريّ: سيرته وشعره»- من أنّ جَمْعَ شِعْرِ شاعِرٍ مُقِلّ قد يستغرق من الجهد والوقت ما لا يستغرقه جَمْعُ شعر شاعر مُكْثِر؛ لأنّ قلـة الـشعر تـستدعي من الباحث مزيداً من البحث والتنقيب والتَّقَصّي في المصادر بحيث يكاد لا يترك مصدراً إلاّ ويرجع إليه مُؤمِّلاً أن يجد فيه ولو بيتاً واحداً يضيفه إلى ما جَمَعَه.

وقد أخَذ منّي شِعْرُ بلال -على قِلّته- جُهـداً كـبيراً، وَوَقْتـاً كـثيراً، ولكـنّ جَمْعَ هذا الشعر القليل يُشكّل - في حدّ ذاته- إسـهاماً في إحيـاء تراثنـا الأدبـي القديم، الذي ستظل العناية به ضرورة من ضرورات الحياة المتجدّدة.

وبعد، فهذا شـعر بـلال بـن جريـر بَـذَلتُ قُـصارى جهـدي في تَقَـصّيه في مصادره المختلفة، وجَمَعْتُه وحقّقتُـه وضَـبَطْتُه، وقارنـتُ بـين رواياتـه المختلفـة، وشرحتُ ما غمض من معانيـه، وقـدّمْتُ لـه بدراسـة تناولـتْ سـيرة الـشاعر، ومصادر شعره، وموضوعاته.

أولاً: سيرته وأخبــاره

اسمه ونسبه:

ينتهي نسب بلال بن جرير إلى قبيلة كُليب بن يربوع بن تميم، فهـو: «بـلال ابن جرير بن عطية بن الخَطَفَى (واسمه حُذَيفَة) بن بدر بن سلمة بن عوف بـن كُلَيْب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عَدْنان»[١].

وتنسبه المصادر إلى بني كُلَيْب فتقول «الكُلَيْبي»، ومنهم من يضيف نـسبه إلى «يربوع»، وإلى البطن الأكبر «تميم»، فيقول: «التميمي اليربوعيّ الكُلَـيْبِيّ»[٢]. وفي «مختـصر تـاريخ دمـشق»، و«تهـذيب تـاريخ دمـشق»تحريـف «الكُلَـيبِيّ» إلى «الكلْبِيّ»[٣].

وقبيلة «يربوع»التي ينتمي إليها بلال، كثيراً ما تُذكر واحدة مـن بـين قبائـل «تميم»الكبيرة، وقد اشتقّت اسماً لها من اسم أحد الأجداد القدامى «يربـوع بـن حنظلة»[٤]، وجاء في كتـاب «الاشـتقاق»: «واشـتقاق يربـوع مـن دويبّـة، وهـو يفعول، إمّا من قولهم: رَبَعَ بالمكان إذا أقام فيه، أو من قولهم: ارتبع الجمل، وهـو عَدْوٌ شبه التقريب» [٥]. وفي بعض المراجع تحريف «يربوع» إلى «يربُع»[٦].

وقـد اسـتقر اليربوعيّـون في «حَـزْن»، ومارسـوا حيـاة البـداوة، وتُعـرف تلك المنطقة باسـم «حَـزْن يربـوع»[٧]، وهـي – كمـا يقـول يـاقوت-: «أطيـب الباديـة مرعـى»[٨]. واسـتقر قـسم مـن قبيلـة «يربـوع»في البـصرة منـذ بـدايات القرن الأول الهجري، وقـد نـصّت بعـض مـصادر ترجمـة بـلال علـى أنـه مـن أهل البصرة[٩].

أمَّا البطن الذي ينتمي إليه بلال، وهو «كُليب» بن يربوع فلم يكن لهم شأن كبير في أيام الجاهلية، ولم يظهر فيهم فوارس يستطيع أن يلهج الناس والشعراء بذكرهم كبقية بطون «يربوع»، حتى إنّ الحطيئة عندما نزل ببني كُليب بن يربوع قالت له ابنته– كما ذكر المبرد: «تَركْتَ الثروة والعدد ونَزَلْتَ في بني كُليب بعر الكبش»(١٠)، ولعلنا من أجل ذلك لا نجد بلالاً، - فيما جمعناه من شعره - يفتخر بقومه بني كليب.

وَبِلال بكسر الباء، قال ابن جنّي: «البِلال أحد أسماء الماء»(١١). وفي معاجم اللغة: البِلال: «كل ما يُبَلُّ به الحَلْق من الماء واللّبن»(١٢).

أسرته وكنيته:

أبوه جرير بن عطيّة، الشاعر المشهور، الذي ذهب في الشعر مذهباً بعيداً، جعل ابن سلاّم يضعه على رأس شعراء الطبقة الأولى من فحول الإسلاميين(١٣). وأخبار جرير أشهر من أن تُذكر، فقد حَظيتْ سيرته وأشعاره بدراسات كثيرة، وحُقّق ديوانه وشُرح عدّة مرات، وتألّق اسمه في كلّ دراسة تتصدّى للبحث في تاريخ الشعر العربي، أو تاريخ نقده قديماً وحديثاً، ولذا فإنّ حديثنا عنه – في هذا المقام – سيكون ضرباً من التكرار الذي لا نُحبّ أن نقع فيه.

أمّا أمّه فهي أمامة، التي كانت جارية للحجاج، وهبها لجرير عندما قدم عليه ومَدَحه، ولزواج جرير منها حكاية طريفة، ذكرها المبرّد في «الكامل»، ونقلها عنه عبد القادر البغدادي في «خزانة الأدب»، وملخصّها أن جريراً دخل على الحجاج، فقال له: بلغني أنّك ذو بديهة، فَقُلْ في هذه الجارية – لجارية قائمة على رأسه – فقال جرير: مالي أن أقول فيها حتى أتأمَلَهَا، ومالي أن أتأمل

جارية الأمير! فقال: بلى، فَتَأمّلْها واسألْها، فقال لها: ما اسمك يا جارية؟ فقالت: أمامة، فقال جرير:

وَدِّعْ أمامةَ حانَ منك رحيلُ ... إنّ الوداعَ لمن تحبُ قليلُ
مِثْلُ الكثيبِ تمايلتْ أعطافُه ... فالريحُ تجْبُر مَتْنه وتُهيلُ
هذي القلوبُ صوادياً تيّمْتِها ... وأرى الشفاءَ وما إليهِ سبيلُ

فقال له الحجاج: قد جعل الله لك السبيل إليها، خذها فهي لك، فضرب بيده إلى يدها فتمنّعت عليه، فقال:

إنْ كان طِبُّكُمُ الدّلالُ فإنّه ... حَسَنٌ دلالُكِ يا أمامَ جميلُ

فاسْتَضْحَك الحجاجُ، وأمر بتجهيزها معه إلى اليمامة»[١٤]. وأضاف المبرد قائلاً: «وخُبِّرتُ أنها كانت من أهل الرَّي، وكان إخوتها أحراراً، فاتّبعوه، فأعطوه بها حتى بلغوا عشرين ألفاً فلم يفعل، وفي ذلك يقول:

إذا عَرَضوا عشرين ألفاً تعرّضّتْ ... لأمِّ حَكيم حاجةٌ هي ما هِيا
لقد زِدْتِ أهْلَ الرَّيِّ عندي مَودّةً ... وحَبّبْتِ أضعافاً إليّ المواليا

فأولدها حكيماً وبلالاً وحزرة: بني جرير، هؤلاء من أذكر من وَلَدِها»[١٥].

وزوجات بلال لا تذكر لنا المصادر عنهن شيئاً. وإذا كان أبوه جرير قد ذكر بعض أسماء زوجاته في شعره، واتّخذَهُنَّ موضوعاً غزَلياً يفتتح به معظم قصائده، فإننا لا نجد ابنه بلالاً – فيما بين أيدينا من شعره- يذكر أسماء زوجاته، سوى ما جاء في قوله[١٦]:

عُلِّقْتُها كَعْبيّةً حلّ أهْلُها ... بحيثُ يلاقي النّعفُ أوديةً تُدْقا
فيا عَزُّ هل تجْزِين قلباً تركْتِهِ ... أخا الموت ما يلقى محبٌّ كما يلقى
أحْبَبْتُها ما دونَ أنّي لم أمُت ... ولم يكُ حُبِّيها كِذاباً ولا مَذْقا

وقوله[١٧]:

أَيَا ربِّ بَغِّضْها إليَّ فإنّني إليها قد اسْتَيْقَنْتُ ذاك بغيضُ
فيَبْراً محزونٌ ويَرقَأ دمعةٌ لذكر سُلَيْمى لا تزال تُفِيضُ

ولا نجد في أخبار بلال ما يساعدنا في الكشف عن حقيقة «عزّة» و «سُلَيْمى» المذكورتين في الأبيات، وهل هما امرأتان حقيقيتان، أم أنهما من نسج خياله، كان ذِكرُهما في شعره لإقامة الوزن وتحلية النسيب؟

وأبناء بلال لا نجد في المصادر تفصيلات عنهم، ولكنّ أبا جعفر محمد بن حبيب (ت: ٢٤٥هـ) ذكر أنّ بلالاً كان يُكنّى أبا زافر[١٨]، ومثل ذلك ذكَره ابن قُتَيبة في «الشعر والشعراء»[١٩]، ولكننا لم نعثر في مصادر ترجمته على ذكر لابنه زافر، ولا ندري إن كان قد عُرف بهذه الكنية دون أن يكون له ابن بهذا الاسم، أم أنّ له ابناً بهذا الاسم سكتت المصادر عن ذِكره. ومن أبنائه أيضاً فهد وعقيل[٢٠]، ولا نعرف عنهما شيئاً سوى أنهما شاركا في رواية شعر جدّهما جرير، ولا شيء غير ذلك. وتفرّد ابن حزم بِذِكْر اسم ابن آخر له هو نوح ابن بلال، وذكَر من عَقِبه المغيرة بن حَجْناء بن نوح بن بلال بن جرير وكان شاعراً مجيداً[٢١]. ولا ندري إن كان ابن حزم قد وَهِم في ذلك، فمن إِخوة بلال – كما تذكر المصادر– نوح وحجناء.

وإخوة بلال كثيرون ذكَر ابن قتيبة أنهم سبعة ذكور، وعدّد منهم: حَزْرَة وعكرمة ونوحاً[٢١]، وأضاف المبرد اسمين آخرين هما: موسى وحكيم[٢٣]. وفي ترجمة أبي الفرج الأصفهاني لجرير أورد اسمين آخرين من أسماء إخوة بلال، هما: حَجْناء[٢٤]، وسوادة[٢٥]، الذي مات في عهد الوليد بن عبد الملك، فرثاه أبوه بمرثية منها قوله[٢٦]:

قالوا نصيبَك مِنْ أجْرٍ فقُلتُ لَهُم … مَنْ للعَرينِ إذا فَارقْتُ أشبالي
لكن سوادةُ يجلو مُقْلَتَيْ لَحِمٍ … بازٍ يُصَرْصِرُ فوقَ المَرْقَبِ العالي
قد كُنْتُ أعرِفُه منّي إذا غَلِقَتْ … رُهْنُ الجيادِ ومَدَّ الغايةَ الغالي
إلاّ تكن لك بالديرين باكيةٌ … فَرُبَّ باكيةٍ بالرمل مِعْوالِ
فارقْتَني حينَ كَفَّ الدهرُ مِنْ بَصَري … وحين صِرْتُ كعظم الرِّمَّةِ البالي

ونوح وحكيم كانا أخَوي بلال لأمّه وأبيه(٢٧)، أمّا إخوته الآخرون ممن ذكرنا أسماءَهم فكانوا إخوته لأبيه فحسب.

وأخوات بلال منهن: أمّ غيلان(٢٨)، وموفية، وجَبَلة، وجعادة، وزيداء(٢٩)، وزينب(٣٠). وأم غيلان هي التي هدّدها الفرزدق بهجائه إيّاها إذا روت ما يهجى به من شعر أبيها، فقال(٣١):

لَئِنْ أنْشَدَت بي أمُّ غيلانَ أو رَوَتْ … عليَّ لَتَرْتَدَّنْ مني بناطح

أمّا زيداء فتسمّى في بعض المصادر الرّبداء(٣٢)، وقد تزوجها ابن عمّها كُسَيْب بن عطاء الذي أنجب كُلَيْباً ومِسْحلاً، الذي كان له ولأمّه نصيب في رواية أخبار جرير وأشعاره(٣٣).

ولبلال عقب اشتُهر منهم: عمارة بن عقيل بن بلال، الذي يرجع إليه الفضل في رواية شعر جدّه جرير وأخباره(٣٤)، وكان شاعراً كأبيه وجدّه، وخُتِمَتْ به الفصاحة في شِعْر المحدثين، كما نقل صاحب «الأغاني»(٣٥).

وبيت بلال مُعْرق في الشعر فأبوه جرير شاعر أيُّ شاعر، وَجَدُّ أبيه حذيفة الملقَّبُ بالخَطَفَى كان يقول الشعر، وكان أخواه نوح وعكرمة شاعرين(٣٦)، وكذلك حفيده عمارة بن عقيل، وغيرهم، مِمّن توارثوا نظم الشعر وروايته كابراً عن كابر.

أخبــاره:

لا نجد – فيما بين أيدينا من مصادر – أخباراً كثيرة عن بلال، الذي جاءت سيرته وأخباره مختزلة في كتب القدامى، حتى إنّ ما أورده الكثيرون منهم لا يعدو ذِكْرَ اسمه، أو روايةً تحكي خبراً من أخبار أبيه جرير.

ومن أخبار بلال أنه كان – في صغره – مقرباً إلى أبيه جرير، الذي قال فيه[٣٧]:

إنّ بــلالاً لــم تَـشِنْه أمُّــه ... لم يتناسَــبْ خالُــه وعَمُّــه
يــشفي الــصُّداعَ ريحُـه وشَمُّــه ... ويُــذهِبُ الهمــومَ عــني ضَــمُّه
يــنفحُ ريــحَ المِـسْكِ مُـستَحَمُّه ... مــا ينبغـــي للمــسلمين ذمُّــه
يُمـضي الأمـورَ وَهْـوَ سـامٍ هَمُّه ... بَحْــرٌ بحُــورٍ واسِــعٍ مَجَمُّــه
يُفَـــرِّجُ الأمـــرَ ولا يَغُمُّـــه ... فَنَفْــسُهُ نَفْــسي وسمّــي سَــمُّه

ولكنّ بلالاً قابل ذلك بالعقوق، ولم تكن علاقته بأبيه قريرة فيما يبدو. مما جعل صاحب «الأغاني» ينقل بإسناد إلى المدائني قوله: «كان جرير أعقّ الناس بأبيه، وكان ابنه بلال أعقّ الناس به»[٣٨]. ونقل ذلك أيضاً عبد القادر البغدادي في «خزانة الأدب»[٣٩].

وكان جرير يعتمد على ابنه بلال في قضاء بعض أموره، يدلنا على ذلك ما رواه ابن عساكر بإسناد إلى ابن الأعرابي، قال: «أراد جرير أن يوجّه ابنه بلالاً إلى الشام في بعض أموره فأتى يحيى بن أبي حفصة، فأودعه إيّاه، ثم بلغ بلالاً أنّ بعض بني أمية يريد الخروج، فقال لأبيه: لو كلّفْتَ هذا القرشي أمري، فقال جرير:

أزاداً سوى يحيى تريد وصاحباً ... ألا إنّ يحيى نِعْمَ زادُ المسافِرِ
وما تأمَنُ الوجناءُ وقعةَ سيفهِ ... إذا انْفَضُوا أوْ قَلَّ ما في الغرائِرِ[٤٠]

وفي أخبار بلال أنه وفد على بعض خلفاء بني أميّة[٤١]، وأنّه وَلِـيَ الـسِّعاية على تيْم والرِّباب[٤٢]. ونقل ابن عساكر عن المـبرِّد أنّ والياً علـى اليمامـة ولّـى بلال بن جرير بعض أعماله، فجلس يوماً يحكـم، والخصوم جلـوس، إذ تمثّـل أحدهم بقول الأخطل:

وابـن المراغـة حـابسٌ أعيـاره ... مَرْمـى القـصيّة مـا يـذُقْن بِـلالاً

فسمعه بلال، فلما تقدّم إليه مع خصْمه، قال له بلال: أعِدْ عليّ إنـشاده، فغمـزه بعض الجلساء، فقال: إنّي والله لا أدري من قاله، ولا فيمن قيـل. فقـال: أجـل! هو أسْيَر مـن ذلك، هلمّا فاحتَجّا»[٤٣].

وورث بلال وبعض إخوته عن أبيهم جرير ملاحاة الـشعراء ومهاجـاتهم، فقد أشار الآمدي إلى مهاجاة وقعت بين ابني جرير نوحٍ وبلال وبين أعـشى بـني عُكْـل، الذي قال فيهما[٤٤]:

سـألتُ النـاسَ أيُّ النـاسِ شـرٌّ ... وأخبـثُ إذ تَجَـوْهَرت الأمـورُ
وَأَلأَمُ أوّلاً وَأدَقُّ فعـلاً ... فقـالـوا أسـرةٌ منهـم جريـرُ
إذا سُئل الـورى عـن كـلِّ خِـزْيٍ ... أشـار إلى بـني الخَطَفَـى مُـشيرُ

وتذكر لنا المصادر روايات وأخباراً رواها بلال عن أبيه جرير من ذلـك مـا أورده صاحب «العقد الفريد»، قال: «قال بلال بن جرير: سألت أبي: أيّ شـيء أشدّ عليك؟ قال: قول البعيث[٤٥]:

أَلَـسْتَ كُلَيبيّـا إذا سِـيمَ خُطَّـةً ... أَقَـرّ كـإقرار الحليلـةِ للبَعْـلِ
وكُـلُّ كُلَـيبيّ صـحيفةُ وَجْهِـه ... أذلُّ لأقـدام الرجـالِ مـن النّعـلِ

وروى صاحب «العقد الفريد»أيضاً، قال: «قال بلال بن جرير: سألتُ أبي جريراً فقلت له: إنّك لم تَهْجُ قوماً قط إلاّ وضَعْتَهم غير بني لجأ! قال: يا بُنَيّ، إنّي لم أجِدْ شرفاً فأضعه، ولا بناء فأهدمه»[٤٦].

وفاتـــــه:

لم تحدّد المصادر القديمة التي ترجمت لبلال سنة لوفاته، ولكن صاحب «معجم البلدان»ذكر أنّ قبر بلال في ديار بني يربوع،في مكان يُسَمّى رِجْلَتَي بقر، فقال: «رِجْلَتا بقر بأسفل حَزْن بني يربوع وبها قبر بلال بن جرير. والرِّجَل: جماعة رجْلَة، وهي مسايل المياه في الأودية »[٤٧].

ونجد خير الدين الزركلي يورد اسم بلال في كتابه «الأعلام»، ويذكر أن وفاته كانت نحو ١٤٠هـ[٤٨].

ثانياً: شِعْــــــره

(مصادره وموضوعاته)

لم يكن بِلالٌ من أصحاب الدواوين الشعرية، فلا نجد أحداً ممّن ذكروه، ينسب له ديوان شعر. كما أننا لم نجد في مصادر ترجمته وأخباره أيّة إشارة إلى أنّ أحداً من علماء الشعر ورواته القدامى قام بجمع شعره وتدوينه. ولذا فالأرجح أنّ بلالاً من الشعراء المقلّين، الذين لم تُجمع أشعارهم، وإنّما بقيتْ قِطَعاً متناثرة، وأبياتاً متفرقة في بطون الكتب والمصادر.

وهنا بدأتُ بِجَمْع شِعره، فكان كتاب «الوحشيات» لأبي تمام (ت:٢٣١هـ) من المصادر الأولى التي أوردت أبياتاً من شعره، فقد روى له أبو تمام مقطوعتين (رقم ٤) و (رقم ١٣) في ستة أبيات[٤٩]. وأورد له الزبير بن بكّار (ت:٢٥٦هـ) في كتاب «جمهرة نسب قريش» سبعة أبيات[٥٠] (رقم ١٢)، نقلها عنه المبرّد (ت: ٢٨٥هـ) في كتابه «الكامل»[٥١]، وابن عساكر (ت: ٥٧١هـ) في كتاب «تاريخ مدينة دمشق»[٥٢].

أمّا ابن قتيبة (ت٢٧٦ هـ) فيبدو أنه من أكثر القدامى اهتماماً بشعر بلال، فبرغم أنه لم يخصّ بلالاً بترجمة في كتابه «الشعر والشعراء» إلاّ أنه- في ترجمته لأبيه جرير- ذكر أنَّ بلالاً أشعر أبناء جرير وأفضلهم، وأورد ثلاث مقطوعات من شعره[٥٣] (رقم ٦) و(رقم ٩) و(رقم ١٣)، في اثني عشر بيتاً. وهذه الأبيات تشكّل كمّاً جيّداً قياساً إلى حجم شعره الذي وصل إلينا.

واختار البحتري (ت ٢٨٤هـ) سبعة أبيات من شعر بلال (رقم ٨)[٥٤]، أوردها أبو علي القالي (ت: ٣٥٦هـ) في كتابه «الأمالي»[٥٥] منسوبة إلى حفيده عُمارة بن عقيل بن بلال.

وتفرّد الخالديّان أبو بكر محمد بن هاشم (ت: ٣٨٠هـ)، وأخوه أبو سعيد عثمان بن هاشم (ت: ٣٩١هـ) في كتابهما الأشباه والنظائر»[٥٦] بإيراد مقطوعة (رقم٧) من شعر بلال في بيتين. وورد لبلال في ديوان أبيه جرير[٥٧] قصيدتان (رقم ٥) في ثمانية أبيات، و(رقم١١) في ثمانية أبيات أيضاً.

أمّا صاحب «الحماسة المغربية»[٥٨] فقد أورد له مقطوعة (رقم١٤)في أربعة أبيات، ورد ثلاثة منها في ديوان جرير[٥٩]. وأورد له عليّ بن أبي الفرج البصري (ت: ٦٥٩هـ) في «الحماسة البصرية»[٦٠] مقطوعة (رقم ٣) في أربعة أبيات.

وإضافةً إلى هذه المصادر فإنّ أبياتاً مفردةً من شعره قد تناثرت في المعاجم اللغوية والجغرافية، وفي المؤلفات النحوية، للاستشهاد بها في الحديث عن موقع جغرافيّ، أو للتدليل بها على مسألة نحوية. وغالباً ما تكون هذه الأبيات قد وردت في المصادر الأولى التي أشرنا إليها.

وهنالك مصادر أخرى نقلتْ بعض أخبار بلال، ولم ترو لَهُ شعراً، من مثل كتاب «الأغاني»لأبي الفرج الأصفهاني (ت: ٣٥٦هـ)، و«البصائر والذخائر»لأبي حيّان التوحيدي (ت٤١٤هـ)، و«خزانة الأدب»لعبد القادر البغدادي (ت: ١٠٩٣هـ).

ونحن نرجّح أنّ شعراً لبلال لم يصل إلينا، ويساعدنا في ترجيحنا:

١. إنّ الكثير من مصادرنا الأدبية والمجاميع الشعرية لم يُتَح لها رؤية النور بعد، ولا ندري إنْ كانت تلك المصادر قد ضاعت فيما ضاع من تراثنا الأدبي، أم أنّها ضلّت طريقها إلينا، ولعل الأيّام تكشف لنا عن وجود بعضها فيتاح للباحثين في تراثنا الأدبي القديم أن يطلعونا على جوانب جديدة من شعر بلال، وشعر غيره من الشعراء.

٢. إنّ شعر بلال الذي جمعناه - في أكثره -، مقطوعات وأبيات مفردة، وبين أيدينا من شعره أربع قصائد، لا تتجاوز أطولها ثمانية أبيات، وقد جاءت القصائد الأربعة غير مصرّعة، وهي بذلك تخالف ما جرى عليه الشعر في الجاهلية وعصر صدر الإسلام، وهو أن تكون القصائد في معظمها مصرّعة.

وكون قصائده تخلو من التصريع، يرجح لدينا أنّ هذه القصائد أو بعضها لم تصل إلينا كاملة، أو أنَّ بلالاً خرج على تقاليد الشعر في عصره، ولم يكن حريصاً على التصريع في قصائده. ولكنّ هذا يبقى مجرد رأي، لا يمكن إصدار حكم قاطع بشأنه، ما لم يتوافر بين أيدينا قدْر وافٍ من شعره، يساعدنا في تبيّن خصائصه وسماته الفنيّة.

وإذا كانت قصائد بلال قد تخلّصت من التصريع، فإنّ ما بين أيدينا من مقطوعاته قد تخلّصت من التصريع أيضاً. وقد يدل ذلك على أنها منتزعة من قصائد طويلة، أو أنّ هذه المقطعات لها بقية؛ لأن المعاني في بعضها تبدو ناقصة أو مبتورة.

٣. ذكرت المصادر أنَّ بلالاً وَفَد على بعض خلفاء بني أميّة وولاتهم، وأنه وَلِيَ بعض أعمالهم. ونحن لا نجد له - فيما بين أيدينا من شعره - أبياتاً أو مقطوعات في مديح من وَفَد عليهم من خلفاء الأمويين، كما أننا لا نجد له شعراً في رثاء من مات منهم، وقد يكون له أشعار في مديحهم أو رثائهم ولكنها لم تَصِل إلينا.

٤. ذكر الآمدي (ت: ٣٧١هـ) في كتابه «المؤتلف والمختلف»(٦١)، أنّ أعشى بني عُكْل كان يهاجي ابنَيْ جرير بلالاً ونوحاً ويلاحيهما، ونَقَل له شعراً في هجائهما. وإذا كان الآمدي لم يبيّن لنا سبب المهاجاة التي وقعت بين أعشى عُكْل وبين ابنَيْ جرير فإنّ الطيالسي (من علماء القرن الرابع الهجري) ذكر

أنّ حزام بن عقبة بن حزام صاحب الشرطة ليوسف بن عمر والـي البـصرة هو الذي أوْقَعَ بـين أعـشى عُكْـل وبـين ابـني جريـر أوّلاً، ثـم إنّ الأعـشى هاجاهما ناصراً لحزام، واعتزل حزام وبقيت المهاجاة بين أعشى عكل وبـين ابنَيْ جرير[٦٢]. ولكننا لا نجد فيما جمعناه من شعر بلال سوى أبيات معدودة في هجاء بني عُكْل، وهـي أبيـات لا تتناسـب وتركيـز الآمـدي علـى تلـك المهاجاة، كما أننا لا نجد لبلال أبياتاً في هجاء حزام بـن عقبـة، ممـا قـد يـدل على أنّ لبلال شعراً في هذا الموضوع لم يصل إلينا.

٥. ما جمعناه من شعر بلال لا يتناسب مع تقدير ابن قتيبة لشاعريته، عندما نَعَتَـه - كما أسلفْنا- بأنه «أفضل أبناء جرير وأشعرهم»، وربّما كان بين يَدَي ابـن قتيبة قدر كاف من شعر بلال عندما ألّف كتابه «الـشعر والـشعراء»، جعلـه يفضّله، ويشيد بشاعريته.

وَشِعْر بلال - في أكثره- مقطوعات مصبوغة بصبغة الهجاء، عبّر فيها عـن مواقفه من القبائـل والأفـراد. فـبلال مـن الـشعراء الهجّـائين، الـذين وقعـوا في أعراض الناس، وهو بذلك يشابه أباه جريراً. ويبدو أنَّ القدماء قد عرفـوا غلبـة موضوع الهجاء على شعر بلال، فها هو ابـن قتيبـة يختـار لـه ثـلاث مقطوعـات جميعها من شعر الهجاء[٦٣].

ومن شعره في الهجاء خمسة أبيات (رقم٦) يهجو فيها بـني ناشـرة، وخمـسة أبيات (رقم ٩) يهجو فيها شخصاً من بني بيدعة، وبيتان (رقم٩) في هجاء بـني عُكْل، وثلاثة أبيات (رقم ١٣) في هجاء حمّاد المِنْقري.

وبالإضافة إلى أشعاره في الهجاء، فإن له أبياتاً نَظَمَها في موضوعات مختلفة، ومناسبات متعدّدة، فمن ذلك ثلاثـة أشـطار (رقـم ٢)، يفخـر فيهـا بأخوالـه، وأربعة أبيات (رقم ١٣) يفتخر فيها بنفسه، فهو - كما يقول - حامي الذّمار،

ومُقري الضيف، ومغيث الملهوف، وأنّه ليّن حين الحاجة إلى اللين، وشديد حين تكون الشدّة ضرورة لازمة.

ولبلال في المديح أبيات، نظمها في مديح عبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيري، وهي قوله(٦٤):

مَدَّ الزبيرُ أبوك إذْ يبني العُلا ... كَفَّيْكَ حتّى نالتا العَيّوقا
وَلَوَ اَنّ عبدَ اللهِ فاضَل مَنْ مَشى ... فَضَلَ البريّةِ عزّةً وبُسوقا
قَرْمٌ إذا ما كان يوم نُفورةٍ ... جَمَعَ الزبيرَ عليكَ والصِّدّيقا
ولئِنْ مساعي ثابتٍ أوْ مُصعَبٍ ... بَلَغَتْ سنا أعلى المكارم فُوقا
لو شِئتَ ما فاتوك إذْ جارَيْتَهم ... ولَكُنْتَ بالسّبق المِبرّ حقيقا
لكنْ أتيتَ مُصَلّياً براً بهم ... ولقد ترى ونرى لديك طريقا
ألْقَتْ إليكَ بنو قُصَيٍّ مجدها ... فَوَرِثْتَ أكرمَها سناً وعُروقا

وقد تدلنا هذه الأبيات الرائعة في المديح على أنّ بلالاً كان زبيريّ الهوى في فترة من فترات حياته.

ونجد في شعر بلال مقطوعات غزلية رقيقة كقوله(٦٥):

عُلِّقْتُها كَعْبيّةً حَلّ أهْلُها ... بحيثُ يلاقي النّعفُ أوديةً تُدْقا
أمَا عَلِمَتْ أنّي أُحِبُّ لِحُبِّها ... لُغاطَ فجادَ المُدْجِناتُ بِه الوَدْقا
فيا عَزُّ هل تَجْزِين قلباً تركْتِهِ ... أخا الموت ما يلقى محبٌّ كما يلقى
أحْبَبْتُها ما دونَ أنّي لم أمُت ... ولم يكُ حُبِّيها كِذاباً ولا مَذْقا

أمّا الرّثاء فمنه أبياته في رثاء أبيه جرير(٦٦):

إنّي رَأيتُ جريراً يومَ فارَقَنا ... أبْكَى رَبيعةَ واختَلَّت له مُضَرُ
ماتَ المحامي عن الأحسابِ قَد عَلِموا ... والمحْرِزُ السَّبْقَ لما أُغْلِيَ الخَطَرُ
إمّا ثَويتَ مقيماً فوق رابيةٍ ... فقدْ مَضَتْ لَكَ أيامٌ لها غُرَرُ

قَدْ كانَ في الحرب ثَبْتاً ذا مُزابنةٍ   شغْباً إذا استُحْصِدَتْ من حبْله المِرَرُ
وكان يَكْوي دَوي عُرٍّ فَيُبْرِئُهم   وكان يعفو كثيراً وهو مُقْتدِر
يا رُبَّ داعٍ دعا في السِّجْنِ أَطْلَقَهُ   والخَطْوُ مِنْ قَيْدِه في الأرضِ مقتصرُ
وبابِ مَلْكٍ نَفَعْتَ النازلين به   والبابُ مِمَّنْ يَحُلُّ البابَ مُحْتَضَرُ

وقلة ما بين أيدينا من شعر بلال من ناحية، وكون أكثر هذا القليل مقطوعات في الهجاء من ناحية أخرى لا تمكّنُنا من التوسّع في دراسة موضوعات هذا الشعر، ولا تساعدنا في إقامة دراسة فنيّة متكاملة تتناول خصائصه ومزاياه الفنية. وعسى أن يظهر في قابل الأيام جديد فنعثر على مزيد من شعر بلال يمكّننا من دراسة أغراضه الشعرية وخصائصه الفنية.

ثالثاً: ما وصل إلينا من شعره

(١)

- من الطويل-

لَهَا شاسِعٌ تحْتَ الثِّيابِ كَأنَّهُ قَفا الدِّيكِ أوْفَى عَرْفَهُ ثُمَّ طَرَّبا

الرواية والمعاني:

في أساس البلاغة للزمخشري: «... أوفى غُرْفَةً ثمّ طرّبا»، وفي تاج العروس: «... أوْفى عُرْفه». والشاسع من قولهم: شسع بعض أعضائه من الثوب: نتأ، وكلُّ شيء نأى وشخص فقد شسع (اللسان: شسع).

التخريج:

ورد البيت منسوباً إلى بلال بن جرير في تهذيب اللغة: ١/ ص٤١٤ (شسع)، وأساس البلاغة: ص٢٣٥(شَسَع)، ولسان العرب: ٨/ ص١٨٠(شسع)، وتاج العروس:٢١/ ص٢٧٣ (شسع).

(٢)

- من الرجز-

(١) يا رُبَّ خالٍ لي أَغَرَّ أَبْلَجـــا

(٢) مِنْ آلِ كِسْرى يَغْتدي مُتَوَّجـا

(٣) لَيْسَ كخالٍ لَكَ يُدْعى عَشْنَجَا

* روى المبرد أنّ بلال بن جرير بَلَغَه أنّ أخاه موسى بن جرير كان إذا ذكره نَسَبه إلى أمّه؛ لأنه ابن أمّ ولد، فقال (الأبيات). الكامل: ٢/ ص٦٤٦.

الرواية والمعاني:

(١) أغرّ: الغرّة، بياض في جبين الفرس، والأغر: الأبيض، ورجل أغرّ: أي شريف (الصحاح: غرر).

(٢) أبلج: من البلوج وهو الإشراق، تقول: بلج الصبح يَبْلُج، أي أضاء (الصحاح: بلج).

(٣) في اللسان وتاج العروس: «... يدعى عَنْشَجا»، وفيه تحريف.
العشنج: المتقبّض الوجه السيّئ المنظر، (الكامل في اللغة والأدب: ٢/ ص٦٤٧).

التخريج:

نُسِبَت الأشطار إلى بلال بن جرير في الكامل في اللغة والأدب: ٢/ ص٦٤٧، وفي لسان العرب ٢/ ص٣٣١(عنشج)، وتاج العروس: ٦/ ص١١٩ (عنشج)، ورغبة الآمل: ٥/ ٥١.

وردت الأشطار بلا عزو في تهذيب اللغة: ٩/ ص٤٣٤.

(٣)

- من الطويل-

(١) إلى اللهِ أشكو أنَّ قلبي مُعَلَّقٌ ... برَعْنـاءَ حَسْناءِ القَوامِ رَداحِ
(٢) صَبيحةِ وَجْهٍ والصِّباحُ مَآلِفٌ ... لكلِّ فتىً للغانياتِ مُباحِ
(٣) تَسَخَّطُ ما يُرضَى وتَخْرَق بالأذى ... ولَيْسَ بناهيها لِحايَةُ لاحِ
(٤) فلا بُدَّ مِنْ صَبْرٍ عليها لِحُسْنِها ... وإنْ زادَ منها النُّكْرُ كلَّ صَباحِ

الرواية والمعاني:

(١) رعناء: الرعونة، الحمق والاسترخاء، يقال: رجل أرْعَن وامرأة رعناء (الصحاح: رعن). رداح: المرأة الثقيلة الأوراك (الصحاح: ردح).

(٢) الصِّباح: جمع صبيحة، والصّباحة: الجمال (الصحاح: صبح). مآلف: يألفهنّ الإنسان ويركن إليهن لجمالهن. الغانيات: مفردها غانية، وهي المرأة التي غنيت بزوجها، أو بجمالها. مُباح: صفة لفتى، أي لكل فتى أباح نفسه للغانيات، وسلّم أمره إليهن.

(٣) في الحماسة البصرية: «... وتحرق بالأذى»، وأظنه تصحيفاً.

تَسَخّط: تتسخّط، بحذف إحدى التاءين. تخرق: من الخرْق: وهو الحمق وعدم الرفق في العمل، وخَرِقَ بالشيء: جَهله، ولم يحسن عمله، فهو أخرق، وهي خرقاء والخَرَق بفتح الراء: الدهش من الخوف أو الحياء (الصحاح: خرق).

تحرق بالأذى: أي يكون لأذاها وقع الحرق على الإنسان.

اللحاية: العذل واللوم، ولاحيتُه ملاحاة ولحاء إذا نازعته (الصحاح: لحى).

التخريج:

نُسِبَت الأبيات إلى بلال بن جرير في الحماسة البصرية: ٢/ ص٣٠٧، ووردت بلا عزو في الأشباه والنظائر للخالديين: ٢/ ص٢٨٩.

(٤)

- من الطويل-

(١) رَأيتُكُما يا ابْنَيْ أخي قَدْ سَمِنْتُما　　ولا يُــدْرِكُ الأوتــارَ إلاّ الملَــوّحُ

(٢) وَأمّكُما قَدْ أصبَحَتْ وهْيَ أيِّــمٌ　　تُخَيَّــرُ في خُطّابهــا أيــنَ تُــنْكِحُ

* قال بلال بن جرير عندما قَتَلَتْ ضبّة زكرياء بن مرار الحَمَليّ من بني حَمَل من بني حنظلة (الأبيات) ديوان جرير: ص٧٨٩. وقد عدّ الخالديّان هذه الأبيات من أحسن ما قيل في التحريض على طلب الثأر (الأشباه والنظائر: ١/ ص٨٧).

الروايـة والمعاني:

(١) في ديوان جريـر: «ولا يـدرك الأتبـال...»، وفي موضـع آخـر مـن الأشـباه والنظائر: «وما يدرك الآثار...».

الأوتار: مفردها وَتْـر، وهـو الحـق أو الثـأر يقـال وتـره حقـه: أي نقـصه، والموتور: الذي قتل له قتيل فلم يأخذ بثأره (الصحاح: وتر).

الأتبال: التّبل: الثأر والحقد والعداوة (الصحاح: تبل).

(٢) في موضع آخر من الأشباه والنظائر:

«وأُمُّكما قد رابني أن رَأيتُهـا　　تُخَضِّبُ أطرافَ البنانِ وتَمزَحُ».

وبعده قوله:

«وتكحل عَيْنَيْها وتصبغ ثوبها　　وتسأل عن خطّابها أينَ تَنْكِحُ»

الأيّم: التي لا زوج لها، بكراً كانت أو ثيّباً (الصحاح: أيم).

(٣) فَلَوْ كُنْتُما أَشْبَهْتُماني لَقَـدْ مَـشَتْ إلـــى قَبْــرِ غَـــدّافٍ قــرائِنُ نُــوَّحُ

الروايـة والمعاني:

(٣) في ديوان جرير: «إلى قبر غدّافٍ قرائب نُوّح». غدّاف: هو الذي قتل زكرياء، فقتل غالب بن زكرياء غدّافاً (ديوان جرير: ص٧٨٩).

قرائن: مفردها قرينة، وقرينة الرجل: امرأته. قرائب: جمع قريبة، تقول: هذه المرأة قريبتي، أي ذات قرابتي (الصحاح: قرب). نُـوّح: جمـع نائحـة، نـساء نُوّح ونوائح ونائحات، من ناحت المرأة نَوْحاً ونياحاً (الصحاح: نوح).

التخريـج:

نُسِبت الأبيات إلى بلال بن جريـر في الوحـشيات: ص٨٠، ونُـسِبت في الأشـباه والنظائر: ٢/ ص١٩٣ إلى الثعر العقيلي[٦٧].

البيتان: (١، ٢) نُسِبا إلى الجراح بن عبد الله بن جوشن الغطفـاني[٦٨] في الأشـباه والنظائر: ١/ ص٨٧.

البيتان: (١، ٣) نُسِبا إلى بلال بن جرير في ديوان جرير: ص٢٨١.

البيت: (١) ورد بلا عزو في الأشباه والنظائر: ٢/ ص٣٣٦.

(٥)

- من البسيط -

(١) إنّي رَأَيتُ جريراً يومَ فارَقَنا أبكَى رَبيعةَ واختلَّت له مُضَرُ
(٢) ماتَ الحامي عن الأحسابِ قَد عَلِموا والمُحرِزُ السَّبْقَ لما أغْلِيَ الخَطَرُ
(٣) إمّا ثويتَ مقيماً فوق رابيةٍ فقدْ مَضَتْ لَكَ أيامٌ لها غُرَرُ
(٤) قَدْ كانَ في الحرب ثَبْتاً ذا مُزابنةٍ شغْباً إذا استُحْصِدَتْ من حبْله المِرَرُ

* قال بلالٌ يرثي أباه جريراً (الأبيات). ديوان جرير: ص٣٩١.

الرواية والمعاني:

(١) الخَلَل: مُنْفَرَج بين كل شيئين، ومنه الفساد والوهْن في الأمر، كأنه تُرِك منه موضع لم يُبْرَم ولا أُحْكِم. وفي رأيه خَلَل: أي انتشار وتفرّق. وأمر مُخْتَل: واهن، وعسكر مُتَخَلْخِل: غير مُتَضامّ (اللسان: خلل).

(٢) أُغلي الخَطر: أسرع واشتد. الخَطَر: السَّبَق الذي يُتراهن عليه (الصحاح: خطر).

(٣) إمّا ثويتَ: إن كُنتَ ثويت.

(٤) الثّبْت: أي ثابت القلب. المزابنة: الزّبن، هو الدّفع، وحرب زبون: تزين الناس أي تصدمهم وتدفعهم (الصحاح: زبن). الشَّغب: تَهْييج الشّر (الصحاح: شغب). المِرَر: جمع مِرّة، وهي القوّة وشدّة العقل (الصحاح: مرر).

(٥) وكان يَكْـوي ذوي عـرٍّ فَيُبْرِئُهـم   وكـان يعفـو كثيـراً وهـو مُقْتـدِر
(٦) يا رُبَّ داعٍ دعا في السِّجْـنِ أطْلَقَهُ   والخَطْوُ مِنْ قَيْدِهِ في الأرضِ مقتصرُ
(٧) وبابِ مَلْـكٍ نَفَعْـتَ النـازلين بـه   والبابُ مِمَّنْ يَحُـلُّ البـابَ مُحْتَـضَرُ
(٨) فَائِعَ جريـراً لأضيـافٍ إذا نزلـوا   وللأرامِـلِ لَمَّـا أخْلَـفَ المطـرُ

الرواية والمعاني:

(٥) العُرّ: بضم العين، قروح تخرج بالإبل متفرقة في مشافرها وقوائمها، يسيل منها مثل الماء الأصفر فتكوى الصِّحاح منها لئلا تعديها المراض، يقال: عرّت الإبل فهي معرورة (الصحاح: عرر).

(٧) أراد بمن يَحُلّ الباب: الحجّاب والبوابين (ديوان جرير: حاشية ص٣٩١).
محتَضَر: حُضور أي حاضرون.

(٨) فَائِع: من النّعي، وهو خبر الموت (الصحاح: نعى).

التخريج:

الأبيات في ديوان جرير: ص٣٩١.

(٦)

- من المتقارب-

(١) عَدَدْنــا فُقَيْمــاً وآباءَهُــمْ فَــشَرُّ فُقَيْــمٍ بنــو نــاشِرَهْ
(٢) قِصارَ الفِعالِ طِوالَ الخُطَى مَنــاتِينَ لَيْــسَتْ لهــم بــادِرَهْ
(٣) يَعُــدّون غُرْمــاً قِرى ضَيْفِهم فــلا عَــدِموا صَــفْقَةً خاسِــرَهْ
(٤) إذا ضِــفْتَهُم ثُــمّ ساءَلْتَهــم وَجَــدْتَ بِهِــمْ عِلّــةً حاضِــرَهْ
(٥) ولَيْــسوا إذا قُلْــتَ: مــاذا هُــمُ؟ بأصــحابِ دُنْيــا ولا آخِــرَهْ

* قال بلال في قوم من بني فُقَيْم يقال لهم بنو ناشرة (الأبيات). الشعر والشعراء: ص٣٤٠.

الروايـة والمعاني:

(١) فُقَيم: هم بنو فُقَيم بن جرير بن دارم(جمهرة أنساب العرب: ص٢٢٢). بنو ناشرة: بطن من بني هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، ومن بطونهم بنو عامر وظالم ابنا ناشرة (جمهرة أنساب العرب: ص٢٧٣).

(٢) مناتين: جمع منتن، والنَّتَن: الرائحة الكريهة(الصحاح: نتن).

(٣) الغُرم: الغرامة، أي الخسارة، وما يلزم أداؤه (الصّحاح: غرم).

(٤) في البخلاء للبغدادي: «إذا ضفْتهم وتخيّلْتهم...»، وفي لسان العرب: «... أو سايلتهم»، وفي الخصائص: «... أو سآيلتهم»، وأضاف ابن جني: أراد ساءلتهم، ثم عنّ له أن يبدل الهمزة على قول من قال: سايلتهم، فاضطرب عليه الموضع، فجمع بين الهمزة والياء (الخصائص: ٣/ ص٢٨٠).

التخريج:

وردت الأبيات منسوبة إلى بلال بن جرير في الشعر والشعراء: ص٣٤٠، وفي البخلاء للبغدادي: ص١٣٩.

البيت: (٤) ورد منسوباً إلى بلال في الخصائص: ٣/ ص٢٨٠، وفي لسان العرب وتاج العروس(سأل).

(٧)

- من الطويل -

(١) أيَا ربِّ بَغِّضْها إلـيَّ فإنّنـي إليهـا قـد اسْـتَيْقَنْتُ ذاك بغـيضُ
(٢) فيَبْـرأ محـزونٌ وتَرقَـأ دمعـةٌ لـذكر سـليمى لا تـزال تُفِـيضُ

الرواية والمعاني:

(١) استَيْقَنْت: أَيْقَن، واستيقن، وتيَقّن كلّه بمعنى، وهو من الـيقين، ضـد الـشك (الصحاح: يقن).

(٢) ترقأ الدّمعة: تسكن وتهدأ، وأرقأ الله دمعه: سكّنه (الصحاح: رقأ).

أورد الخالديان البيتين في باب مذمّة النساء، وقالا: هذا ذَكَرَ أنـه يحبّهـا وهـي تبغضه، فهو يدعو الله أن يبغضها إليه؛ ليسكن حزنه، ويرقـأ دمعـه (الأشـباه والنظائر: ٢/ ص٢٨٩).

التخريج:

تفرد بإيراد البيتين ونِـسْبَتِهما إلى بـلال بـن جريـر الخالـديّان في الأشـباه والنظائر: ٢/ ص٢٨٩.

(٨)

- من البسيط-

(١) لا حَلْفَ يقْطَعُ خَصْمَ كلُّ مُخاصِمٍ إلاّ كَحَلْفِ عُبَيْدَةَ بنِ سَمَيْدَعِ

* أورد البحتري هذه الأبيات في باب من تبجَّحَ باليمين وبذلها لغريمه من غير تَمَنُّع(حماسة البحتري: ص٤٢٠ - ٤٢١). وروى أبو علي القالي بإسناد إلى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قال: وقع بين أعمامي وأخوالي لحاءٌ في أرض، فتراضوا عند حاكم لهم بشيخ منهم ورضوا بيمينه مع الشهادة، فكان إذا استُحْلِف بالمشي إلى مكة حلف بالمشي إلى جُدّة، وإذا استُحْلِف بطلاق امرأة حلف بطلاق أربع، وإذا استُحْلِف بعَتاق عبد حلف بِعَتاق مائة، وكنتُ أُحِبُّ أن يظهر أعمامي على أخوالي فظهروا عليهم، فقلت(الأبيات). الأمالي: ١/ ص٤٥.

الرواية والمعاني:

(١) في الأمالي وسمط اللآلئ: «لا شيءَ يدفع حقَّ خَصْمٍ شاغِبٍ». والسَّمَيْدَع: بفتح السين السيد الجميل، وقيل الشجاع. والسُّميدع: بالضم: الذئب لسرعته، والرجل السريع في حوائجه (سمط اللآلئ: ص١٨٧)، ووردت هذه الكلمة في الأمالي بالذال(سَمَيذع)، ورأى فيها محقق «سمط اللآلئ»تصحيفاً، فقال: «وسَمَيْذَع بالذال أرجح تصحيفه». (سمط اللآلئ: حاشية ص١٨٧).

(٢)يمضي الغموسَ على الغموسِ لجاجةً   عَضٌ الجموحِ على اللّجام المُقْدَعِ
(٣) نَزِقُ اليمين إذا أردتَ يَمينَه   بخدائعِ الشّعراءِ غيرُ مُخَدَّعِ
(٤) وإذا تَسَمَّعَ حَلْفَةً أصْغى لها   وإذا يُخَوَّف بالتّقى لم يَسْمَعِ
(٥) يهتَزُّ حين تمرُّ حُجّة خَصْمِهِ   حَذَرَ الفضيحة كاهتزاز الأشْجَعِ
(٦) يغشى مَضرَّته لِنَفْعِ صَديقِهِ   ما خيرُ ذي حَسَبٍ إذا لم ينْفَعِ
(٧) بَذَلَ الجليّةَ ثم قال وقد مَضَتْ   للعَلْقَميّ خذ الجليّة أوْ دَعِ

الرواية والمعاني:

(٢) في الأمالي: «يمضي اليمين على اليمين...». الغموس: الأمر الغموس، أي الشديد. واليمين الغموس: التي تغمس صاحبها في الإثم (الصحاح: غمس).

المقدع: اسم فاعل من أقدع فرسه باللجام: كبحه. يُقال: قَدَعْتُ الفرس أقْدعه قدعاً: كبحتُه وكفَفْتُه (الصحاح: قدع).

(٣) في الأمالي: «سهل اليمين... بخدائع السّفراء...».

(٤) في الأمالي: «وإذا يُذَكّرُ حلفة... وإذا يُذَكّر بالتقى...».

(٥) عجز البيت في الأمالي: «خوف الهضيمة كاهتزاز الأشجع». الهضيمة: الظّلم، يقال: يتهضّمك القوم شيئاً، أي يظلموك (الصحاح: هضم).

الأشجع: الحية القصيرة الذنب، والأشجع من الإبل: السريع نقل القوائم (الصحاح: شجع).

(٧) الجليّة: الخبر اليقين (الصحاح: جلا).

التخريـج:

الأبيات: (١- ٧) نسبت إلى بلال بن جرير في حماسة البحتري: ص٤٢٠ –٤٢١.

الأبيات: (١- ٦) نسبت إلى عمارة بن عقيل بن بلال في الأمالي: ١/ ص٤٥.

البيت: (١) نُسِبَ إلى عمارة بن عقيل في سمط اللآلئ: ١/ ص١٨٧.

(٩)

- من المتقارب-

(١) أَمَسْعُودُ أَنْتَ اللَّئِيمُ الأَثِيمُ كَأَنَّكَ قُنْفُذَةٌ فِي ضَعَهْ
(٢) سَمِعْنَا لَهُ إِذْ نَزَلْنَا بِهِ كَلاماً كما تَنْطِقُ الضِّفْدِعَهْ
(٣) فَأَيّ اللئيمَيْنِ أَشْبَهْتَهُ أَطُعْمَةَ أَمْ أَمّكَ الكَوْتَعَهْ
(٤) عَدَدْنَا عَدِيّاً وآباءَهم فَشَرُّ عَدِيٍّ بنو بَيْدَعَهْ
(٥) فما أعْطَشَ الضّيفَ لَمّا غدا مِنَ البَيْدَعاتِ وما أجْوَعَهْ

* روى ابن قتيبة أنّ بلالاً نزل برجل يقال له مسعود بن طُعمة، من بني بَيْدَعة، فلم يُحْسِن قِراه، فقال (الأبيات). الشعر والشعراء: ص٣٣٩.

الرواية والمعاني:

(١) في البخلاء للبغدادي: »... أنتَ الدنيءُ الأثيم». الضَّعة: الدناءة في الحَسَب والناس (الصحاح: وضع).

(٣) الكَوْتَعة: لم يَرِدْ هذا اللفظ على هذه الصورة في معاجم اللغة، وإنما ورد الكُتَع: بمعنى ولد الثعلب، أو الرجل الذليل اللئيم. والأكتع: الذئب بلغة أهل اليمن، والأنثى كتعاء وهي تُكسّر على كُتع. والكُتْعَة: طرف القارورة، والدلو الصغيرة (الصحاح واللسان: كتع). وأورد الخطيب البغدادي هذه الأبيات وقال: «الكَوْتَعَة: رأس ذكر الحمار «(البخلاء: ص١٣٨).

(٤) بنو بَيْدَعة: لم أعثر على هذا الاسم في كتب القبائل والأنساب.

التخريج:

نُسِبت الأبيات إلى بلال بن جرير في الشعر والشعراء: ص٣٣٩- ٣٤٠، وفي كتاب البخلاء للخطيب البغدادي: ص١٣٨.

(١٠)

- من الطويل -

(١) وَعُكْلِيّةٌ قالت لجارةِ بَيْتِها إذا العَيْرُ أدلى حبّذا مِثْلُ ذا غُلْفا

(٢) فقالت لها يا حبّذا ثم حبّذا ويا حبّذا لَوْ جاء في مثله ألْفا

الرواية والمعاني:

(١) في ديوان الحماسة، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي، وشرح الحماسة للأعلم الشنتمري: «حبّذا مثل ذا عِلْقا». ولكنّ التبريزي نبّه في الحاشية إلى أنّ البيت رُوي بالغين والفاء(غُلْفا) ليناسب البيت التالي له(٤/ ص٣٧٤)، وكذلك في شرح الحماسة المنسوب لأبي العلاء المعري (٢/ ص١٢٢٠).

عُكلية: امرأة منسوبة إلى بني عُكْل بن عبد مناة بن أُد بن طابخة بن إلياس بن مضر (جمهرة أنساب العرب: ص٤٨٠). العَيْر: الحمار، أو الحمار الوحشي.

العِلْق: الشيء النفيس. والغُلْف: الشيء الذي يجْعَلُ في الغلاف.

(٢) في شرح الحماسة للتبريزي، وشرح الحماسة المنسوب لأبي العلاء:

«فقالت لها جاراتها إذ سَمِعْنَها نَعَمْ حبّذا بل حبّذا مثله ألفا ».

التخريج:

ورد البيتان منسوبين إلى بلال بن جرير في شرح الحماسة للتبريزي: ٤/ ص٣٤٧، ووردا بلا عزو في ديوان الحماسة: ص٣٩١، وفي شرح الحماسة المنسوب لأبي العلاء: ٢/ ص١٢٢٠.

البيت: (١) ورد منسوباً إلى بلال بن جرير في شرح الحماسة للأعلم الشنتمري ص: ١١٦٢.

(١١)

- من الطويل -

(١) عُلّقْتُها كَعْبِيّــةً حَــلّ أهْلُهــا بحيثُ يلاقي النّعـفُ أوديـةً ثُدْقـا

(٢) أمَا عَلِمَتْ أنّي أُحِبُّ لِحُبِّها لُغاطَ فجادَ المُدْجِناتُ بـه الوَدْقـا

(٣) فيا عَزُّ هل تُجْزِين قلباً تركْتِـهِ أخا الموت ما يلقى محبٌّ كما يلقـى

(٤) أحْبَبْتُها ما دونَ أني لم أمُـت ولم يكُ حُبِّيهـا كِـذابـاً ولا مَذْقـا

* قال بلال بن جرير يهجو التّيحان العُكْلي[٦٩] (الأبيات) ديوان جرير: ص٨٠٠.

الرواية والمعاني:

(١) كَعْبية: من بني كعب بن سعد بن زيد بن مناة (جمهرة أنساب العرب: ص٢١٥).
النّعف: اسم موضع، وهو ما انحدر عن السفح وغلظ (معجم ما استعجم: ٤/ ص١٣١٦). الثُّدْق: واحدها أثدق، أي أودية واسعة. وواد ثادق: أي سال ماؤه بشدة (الصحاح: ثدق).

(٢) لُغاط: بضم أوّله، على وزن فعُال، اسم موضع، ذكر ياقوت الحموي عدّة أقوال في تحديد موقعه، فقال: اسم جبل من منازل بني تميم، وقيل: وادٍ لبني ضبّة، وقيل ماء لبني مازن بن عمرو بن تميم، وقيل: ماء لبني مبذول وبني العنبر من أرض اليمامة (معجم البلدان: باب اللام والغين وما يليهما).
المدجنات: الدَّجْن: المطر الكثير. الداجنة والمدجنة: الماطرة المطبّقة (الصحاح: دجن).
الوَدْق: المطر، يقال: وَدَقَ يَدِقُ وَدْقاً، أي قَطَر (الصحاح: ودق).

(٤) المَذْق: اللبن المزوج بالماء، ومنه قولهم: مذّاق، ومماذق: أي غير مخلص (الصحاح: مذق).

(٥) أبَا لُحُمْرِ سبّونا وتُلْقى نِساءَهم على كـلّ نهّـاتٍ إذا انتجعوا بَرْقـا
(٦) ألاَ إنّما العُكْليّ كَلْـبٌ فَقُلْ لـه إذا ما اعتوى اخسَأْ وألْـقِ لـه عَرْقـا
(٧) وإن تُلْقَ تيْماً في النّدِيّ عَرَفْتَها عَرَفْتَ الأنوفَ الفُطْسَ والأعينَ الزُّرْقا

الرواية والمعاني:

(٥) الحُمْر: جمع حمار، ويكون المعنى عيّرونا باقتناء الحمير، وكان بنو كليب رقاق الحال يرعون الغنم والحمير، لا خيل لهم ولا جمال. والحُمر: جمع حمراء، وابن الحمراء: ابن الأمة الأعجمية؛ لأن الشقرة أغلب الألـوان عليـه(الـصحاح: حمر). وكان بلال – كما أسلفنا – ابن أمة أعجمية. نهّات: يقال أسد نهّـات، وحمار نهّات: أي نهّاق، ورَجُـل نهّـات: يـئن ويخـرج صـوتاً (الـصحاح: نهت).

(٦) العُكْلي: من بني عُكْل الذين ذكرنا نسبهم.

العَرْق: العظم الذي أخذ عنه اللحم (الصحاح: عرق).

(٧) تيم: قبيلة من قبائل العرب، وهم بنو تَيْم بن عبد مناة بن أُد (جمهرة أنـساب العرب: ص١٩٩). النـديّ: علـى وزن فعيـل مجلـس القـوم ومُتَحـدَّثهم، وكذلك الندوة والنادي والمنتدى(الصحاح: ندا).

التخريج:

وردت الأبيات منسوبة إلى بلال بن جريرفي ديوان جرير: ص٨٠٠.

البيت: (٢) نسب إلى بلال بن جريرفي معجم ما استعجم: ص١١٥٨.

البيت: (٦) نسب إلى جرير في اللسان(عوى).

(١٢)

- من الرجز-

(١) مَدَّ الزبيرُ أبوك إذْ يبني العُلا ... كَفَّيْكَ حتّى نالتا العَيّوقا

(٢) وَلَوَ اَنَّ عبدَ اللهِ فاضَل مَنْ مَشى ... فَضَلَ البريّةِ عزّةً وبُسوقا

* قال بلال بن جرير يمدح عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير[٧٠] (الأبيات). جمهرة نسب قريش: ص١٣٤- ١٣٥.

ويبدو أن أبا العباس المبرّد قد وهم عندما أورد الأبيات وقال قبلها: «قال بلال بن جرير يمدح عبد الله بن الزبير». واعترض عليه أحد رواة «الكامل»: فكتب في الحاشية: «إنّ بلالاً لم يلحق ابن الزبير إلاّ أن يكون قد مدحه ميّتاً»(الكامل: ٢/ ص٦٦٠).

الرواية والمعاني:

(١) في الكامل في اللغة والأدب:«مدّ الزُّبَيْر عليك...». وعجز البيت في تاريخ مدينة دمشق: «كفيك حتى طالت العيّوقا»، وفي الكامل: «كفيه...».

العَيّوق: كوكب أحمر مضيء، يُضْرب به المثل في البعد والارتفاع (الصحاح: عوق).

(٢) في الكامل والحماسة البصرية: «... فاخر من ترى... فات البرية عزة وسموقا». وفي تاريخ مدينة دمشق: «... عزة ومسوقا»وفيه تحريف، فلم يرد في الصحاح أو اللسان مادة (مسق).

البسوق: الارتفاع والعلو، وبسق النخل بُسوقاً: طال. والسموق: الطول والارتفاع أيضاً (الصحاح: بسق، سمق).

(٣) قَرْمٌ إذا ما كان يوم نُفورةٍ ... جَمَعَ الزبيرَ عليكَ والصِّدّيقا

(٤) ولئِنْ مساعي ثابتٍ أوْ مُصْعَبٍ بَلَغَتْ سنا أعلى المكارم فُوقا
(٥) لو شِئتَ ما فاتوك إذْ جارَيْتَهم ولَكُنْتَ بالسّبق المِبرّ حقيقا
(٦) لكنْ أتيْتَ مُصَلِّياً برّاً بهم ولقد ترى ونرى لديك طريقا
(٧) ألْقَتْ إليكَ بنو قُصَيٍّ مجدها فوَرِثْتَ أكرمَها سناً وعُروقا

الرواية والمعاني:

(٣) في تهذيب تاريخ دمشق: «قوم...»وفيه تحريف. القرم: السيّد المعظّم. ونفر الرجلُ الرجلَ: غلب عليه عند المنافرة والمفاخرة.

الزبير بن العوام: جدّ الممدوح الأعلى، الحواريّ الصحابي. والصّديق: أبو بكر والد أسماء رضي الله عنهم. وكانت أسماء عند الزبير، والممدوح حفيدهما.

(٤) الفُوق: بضم الفاء، الطريق الأول، والفُوق: موضع الوتر من السهم، والجمع أفواق وفُوق (الصحاح: فوق).

(٥) في تاريخ مدينة دمشق:

«.......إذا حاربتهم وَلَكُنْتَ بالبيت المنير حقيقا».

فاته: سبقه. المبرّ بالشيء: الضابط له. حقيق: جدير.

(٦) في تهذيب تاريخ دمشق: «... مصلّياً في رأيهم».

المصلّي: هو تالي السابق، وقبله المجلّي (الصحاح: صلا).

(٧) في تاريخ مدينة دمشق: «... بنو قُصَيّ مجدهم». سناً: السّنا مقصور ضوء البرق، والسناء ممدود من الرفعة والشرف (الصحاح: سنا). العروق: أعرق الشجر والنبات إذا امتدّت عروقه في الأرض. وأعرق: أي صار عريقاً، وهو الذي له عِرْق في الكرم. وفُلان مُعْرق: يقال ذلك في الكرم واللؤم جميعاً (الصحاح: عرق).

التخريج:

الأبيات (١-٧) وردت منسوبة إلى بلال بن جرير في: جمهرة نسب قريش: ص١٣٤- ١٣٥، وتاريخ مدينة دمشق: ١٠/ ص٤١١. وتهذيب تاريخ دمشق: ٣/ ص٣٠٠.

الأبيات:(١-٦) نسبت إلى بلال بن جرير في الكامل في اللغة والأدب: ص٦٦٠- ٦٦١.

الأبيات: (١، ٣، ٥، ٦) في الحماسة المغربية: ١/ ص١٨٤.

(١٣)

- من الطويل-

(١) نَزَلْنا بِخَـلاّدٍ فَأَشْلـى كِلابَـه — علينـا فَكِـدْنا عنـد بَيْتِـه نُؤْكَـلُ

(٢) تناوَمْتَ نِصْفَ اللَّيْلِ ثمّ أتَيْتَنـا — بِقَعْبَيْنِ من ضَيْحٍ ومـا كِـدْتَ تَفْعَـلُ

(٣) فَقُلْتُ لأصحابي مُـسِرّاً إليـهم — أذا اليـومِ أم يـومُ القيامـةِ أطْـوَلُ

* قال بلال بن جرير يهجو خلاّد بن جندل(الأبيات). الوحشيات: ص٨٠.

وذكر ابن قتيبة أن بلالاً قال البيتين (١، ٣) في حمّاد المِنْقَري. الشعر والشعراء: ص٣٤٠. والمِنْقري نسبة إلى بني مِنْقَر بن عُبيد بن مقاعس بن عمرو بن كلب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم (جمهرة أنساب العرب: ص٢١٦).

الرواية والمعاني:

(١) في الشعر والشعراء: «نزلنا بحمّاد فأخلى كلابه»، وفي البخلاء للجاحظ: «نزلنا بعمّار...». في الصحاح واللسان وتاج العروس: «أتينا أبا عمرو فأشلى كِلابه».

أشلى كلابه: دعاها للصيد، وأشليتُ الكلب على الصيد: بمعنى أرسَلْته وأغْرَيْته (الصحاح: شلا). في اللسان: «ويروى: فأغرى كلابه».

(٢) القَعْب: قَدَح من خشب مُقَعّر (الصحاح: قعب). الضّيح: اللبن الخاثر يرقّق بالماء (الصحاح: ضيح).

(٣) رواية البيت في الشعر والشعراء:

«وقد قال قبلي قائل ظلّ فيهم — أذا اليوم أو يوم القيامةِ أطْوَلُ».

وصدر البيت في البخلاء للجاحظ: «فقلت لأصحابي أُسِرُّ إليهم».

التخريج:

الأبيات:(١-٣)نسبت إلى بلال بن جرير في الوحشيات (الحماسة الصغرى): ص٨٠.

البيتان: (١، ٣) نسبا إلى بلال بن جرير في الشعر والشعراء: ص٣٤٠، ووردا بلا عزو في كتاب البخلاء للجاحظ: ص٢٣٨.

البيت: (١) ورد في الصحاح واللسان وتاج العروس (شلا) منسوباً إلى زياد الأعجم[٧١].

(١٤)

- من الطويل -

(١) إذا متُّ فانعيني لمولىً تظاهرتْ عليه من الأعداءِ أيدٍ وألْسُنُ
(٢) وللطّارقِ الغاشي الّذي حطّ رَحْلَه إليّ وقَدْ ولّى مِنَ اللّيلِ مَوْهِنُ
(٣) يراني ذوو الإنصافِ مِلْءَ صدورهم إذا شَزَرْتني من ذوي الجَوْر أعيُنُ
(٤) فلَمْ يَرَ منّي ضَعْفَةً متشدِّدٌ ولم يَرَ منّي شِدّةً مُتَلَيِّنُ

الرواية والمعاني:

(١) نعاه: أخبر بموته. المولى: الصاحب، والقريب كابن العم ونحوه، والحليف (الصحاح: ولى).

(٢) في ديوان جرير: «وللطارق السّاري إذا حلّ رَحْلَه». الطارق: الذي يأتي ليلاً. والغاشي: الزائر. الموهن: نحو من نصف الليل، أو بعده (الصحاح: وهن).

(٣) شزره يَشْزِرُه: نظر إليه نظراً فيه إعراض، والشّزَر: نظر الغضبان بمؤخر العين (الصحاح: شزر). الجَوْر: نقيض الإنصاف والعدل.

(٤) رواية البيت في ديوان جرير:

«فلَمْ أرِ ليناً مَنْ أراني غِلْظةً ولم يَرَ منّي غِلْظَةً متَلَيِّنُ»

التخريج:

الأبيات: (١- ٤) نسبت إلى بلال بن جرير في الحماسة المغربية: ص٦٤٥- ٦٤٦.

الأبيات: (١، ٢، ٤) نسبت إلى بلال بن جرير في ديوان جرير: ص٥٧١.

الهوامش والتعليقات

(١) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، **تاريخ مدينة دمشق**، حققه: مجد الدين أبو سعيد عمر العمروي، دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٩٩٣، بيروت، ط١، ج١٠/ ص٤١٠.

الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين)، **الأغاني**، حققه: عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، ١٩٥٩، بيروت، ج٨/ ص٣.

البغدادي (عبد القادر بن عمر)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، حقّقه: عبد السلام هارون، مطبعة المدني، ١٩٨٤، القاهرة، ط١، ج١/ ص٧٥.

(٢) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، **تاريخ مدينة دمشق**، ج١٠/ ص٤١٠.

(٣) ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن المكرم)، **مختصر تاريخ دمشق**، حقّقه: إبراهيم صالح، دار الفكر، ١٩٨٧، دمشق، ط١، ج٥/ ص٢٥١.

ابن بدران (عبد القادر)، **تهذيب تاريخ دمشق**، دار المسيرة، ١٩٧٩، بيروت، ج٣/ ص٣٠٠.

(٤) الجوهري (إسماعيل بن حمّاد)، **تاج اللغة وصحاح العربية**، حقّقه: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، ١٩٩٠، بيروت، (مادة: ربع).

ياقوت الحموي (أبو عبد الله بن عبد الله الرومي)، **معجم البلدان**، طبعة دار صادر، بيروت، (حزن).

(٥) ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن)، **الاشتقاق**، حققه: عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي بمصر، ١٩٥٨، ص٢٢١.

(٦) محمد باقر عبد الغني، **جرير حياته ونتاجه**، ترجمة سعاد محمد إبراهيم، دار مكتبة الرائد العلمية، ٢٠٠٤، عمّان، ط١، ص٢١. وتحريف «يربوع» إلى «يربع» ليس له أصل في كتب القبائل والأنساب، وقد يكون وقع ذلك في هذا الكتاب لكونه مترجماً عن الأصل باللغة الفرنسية.

(٧) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ٢/ ص٢٥٤ (حزن). وحَزْن يربوع أورد ياقوت أقوالاً مختلفة في تحديد موقعه منها: أنه قرب فَيَد، وهو من جهة الكوفة.

(٨) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢/ ص٢٥٤ (حزن).

(٩) ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن)، **تاريخ مدينة دمشق**، ج١٠/ ص٤١٠.

(١٠) المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)، **الكامل**، حقّقه: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦، ط١، ج٢/ ص٦٩١.

(١١) ابن جني (أبو الفتح عثمان)، **المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة**،دار الآفاق العربية، ٢٠٠٠م، القاهرة، ط١، ص٩٠.

(١٢) انظر: الصحاح واللسان (بلل).

(١٣) الجمحي (أبو عبد الله محمد بن سلام)، **طبقات فحول الشعراء**، حققه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ١٩٧٤، القاهرة، ١/ ص٢٩٧.

(١٤) المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)، **الكامل**، ج٢/ ص٦٤٧- ٦٤٨، والبغدادي (عبد القادر ابن عمر)، خزانة الأدب: ٥/ ص١٦٥.

(١٥) المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)، **الكامل**، ج٢/ ص ٦٤٨.

(١٦) ديوان جرير: ص٨٠٠.

(١٧) انظر البيتين وتخريجهما ص٢٦ من بحثنا هذا.

(١٨) ابن حبيب (أبو جعفر محمد)، **كنى الشعراء وألقابهم**، حققه: محمد صالح الشناوي، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠، بيروت، ط١، ص٢٠.

(١٩) ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم)، **الشعر والشعراء**، حققه: عمر الطباع، دار الأرقم للطباعة والنشر، ١٩٩٧، بيروت، ط١، ص٣٣٩.

وفي كتاب الدكتور عفيف عبد الرحمن (معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، دار المناهل، ١٩٩٦، بيروت، ط١، ص٤٣) تحريف «زافر»إلى «زافرة».

(٢٠) جرير بن عطية، **ديوان جرير**، حققه: نعمان محمد أمين، دار المعارف، القاهرة، ط١، ج١/ ص١٣ (مقدمة المحقق).

(٢١) ابن حزم الأندلسي (علي بن أحمد)، **جمهرة أنساب العرب**، حققه: عبد السلام هارون، دار المعارف، ١٩٦١، مصر، ص٢٢٥.

(٢٢) ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم)، **الشعر والشعراء**، ص٣٤٠.

(٢٣) المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)، **الكامل**، ص٦٤٦- ٦٤٨.

(٢٤) الأصفهاني (أبو الفرج)، **الأغاني**: ٨/ ص٣٢.

(٢٥) **المصدر نفسه**: ج٨/ ص١٠، ص٨٥.

(٢٦) الأبيات في **ديوان جرير**: ص٥٨٤، **والأغاني**: ٨/ ص١٠. يجلو مقلَتَي لَحِمٍ: شبّه مُقلتيه بمقلتي البازي (الكامل في اللغة والأدب: ١/ ص٢٨٧).

(٢٧) التوحيدي (أبو حيان)، **البصائر والذخائر**، حققته: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ٢/ ص١٩٥. وانظر أيضاً: البغدادي (عبد القادر بن عمر)، **خزانة الأدب**: ٥/ ١٦٥.

(٢٨) أبو عبيدة (معمر بن المثنى)، **نقائض جرير والفرزدق**، تحرير أنطوني آشلي بيفان، مطبعة بريل، مدينة ليدن، ١٩٠٥، ج٢/ ص٨٣٩.

(٢٩) **المصدر نفسه**: ج٢/ ص٢٠٣. ولمزيد من التفصيل، انظر: د. نعمان محمد أمين طه: **جرير حياته وشعره**، دار المعارف بمصر، ص١٢٥.

(٣٠) جرير بن عطية، **ديوان جرير**، ج٢/ ص٧٣٨.

(٣١) أبو عبيدة (معمر بن المثنى)، **نقائض جرير والفرزدق**، ج٢/ ص٨٣٩.

وأم غيلان: هي ابنة جرير. ناطح: أي أمر شديد يُصيبها مني.

(٣٢) انظر: الأصفهاني (أبو الفرج)، **الأغاني**: ٨/ ص١٠، وابن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، ص٢٢٦.

(٣٣) أبو عبيدة (معمر بن المثنى)، **نقائض جرير والفرزدق**، ١/ ص٣٤٢، ٣/ ص١٤٠٦.

وانظر أيضاً: الأصفهاني (أبو الفرج)، **الأغاني**: ٨/ ص١٠.

(٣٤) جرير بن عطية، **ديوان جرير**، (مقدمة المحقق: ص١٧). ولعمارة ترجمة مفصّلة في الأغاني: ج٢٣/ ص٤٢٤- ٤٤٢.

(٣٥) الأصفهاني (أبو الفرج)، **الأغاني**: ٢٣/ ص٤٢٤.

(٣٦) ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ص٣٤٠، والبغدادي (عبد القادر بن عمر)، **خزانة الأدب**، ١ / ص٧٦.

(٣٧) ديوان جرير: ص٦٧٧، وانظر بعض هذه الأبيات في: **شرح ديوان كعب بن زهير**(صنعة أبي سعيد السكري)، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٥٠، القاهرة، ص٦٦، والقالي (أبو علي إسماعيل بن القاسم)، **ذيل الأمالي والنوادر**، دار الجيل، ١٩٨٧، بيروت، ط٢، ص٥٠، والبكري (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز)، **التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه**، دار الجيل، ١٩٨٧، ط٢، ص١٢٤.

(٣٨) الأصفهاني (أبو الفرج)، **الأغاني**، ٨/ ص٧٤.

(٣٩) البغدادي (عبد القادر بن عمر)، **خزانة الأدب**، ١/ ص٧٦-٧٧.

(٤٠) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ١٠/ ص٤١١. والبيتان في ديوان جرير: ١/ ص٤٥١.

(٤١) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ١٠/ ص٤١٠.

(٤٢) **المصدر نفسه**، ١٠/ ص٤١٢. والسّعاية هي: عمل المصَدِّق، الذي يجمع الصدقات ويؤديها إلى بيت المال، وكلّ من ولِيَ شيئاً على قوم فهو ساعٍ عليهم، وأكثر ما يقال ذلك في ولاة الصدقة، وهم السّعاة (الصحاح: سعى).

وتيم هو بنو تيْم بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان. والرّباب: بطن من تيْم بن عبد مناة (جمهرة أنساب العرب: ص١٩٩).

(٤٣) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**: ١٠/ ص٤١١.وانظر أيضاً: المبرّد: الكامل، ٣/ ص١٠٧٥.

(٤٤) الآمدي (الحسن بن بشر)، **المؤتلف والمختلف**، دار الكتب العلمية، ١٩٨٢، بيروت، ط٢، ص١٩.

وأعشى عُكْل: هو كَهْمَس بن قَعْنَب بن وَعْلَة بن عطيّة العكلي، ذكره الآمدي وقال: «وجدْتُ له ديواناً مفرداً »، **المؤتلف والمختلف**: ص١٩.

(٤٥) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، حقّقه: عبد المجيد التّرحيني، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧، بيروت، ط٣، ٦/ ص١٥٠.

والبُعَيْث المجاشعي، شاعر وخطيب مفوّه، وقف إلى جانب غسّان السليطي ضد جرير، فنشأ الهجاء بينه وبين جرير والفرزدق (الأعلام: ٢/ ص٣٥٤).

(٤٦) **المصدر نفسه**،٦ / ص١٢١، ص١٧٦. وبنو لجأ: هم قوم عمر بن لجأ الذي كانت له نقائض مع جرير، وهو من بني تيم من الرّباب، توفي سنة ١٠٥هـ (الأعلام: ٥/ ص٢٢٠).

(٤٧) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ٣/ ص٢٨.

(٤٨) الزركلي (خير الدين)، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ١٩٩٢، بيروت، ط١٠، ٢/ ص٧٢.

(٤٩) أبو تمام (حبيب بن أوس الطائي)، **الوحشيات (الحماسة الصغرى)**، حقّقه: عبد العزيز الميمني، دار المعارف بمصر، ١٩٦٣، ط١، ص٨٠.

(٥٠) الزبير بن بكار (أبو عبد الله)، **جمهرة نسب قريش**، حقّقه: محمود محمد شاكر، مكتبة العروبة، القاهرة، ص١٣٤- ١٣٥.

(٥١) المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)، **الكامل**، ص٦٦٠- ٦٦١.

(٥٢) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ١٠/ ص٤١١.

(٥٣) ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ص٣٣٩- ٣٤٠.

(٥٤) البحتري (أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي)، **الحماسة**، طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ١٩٢٩، ط١، ص٤٢٠- ٤٢١.

(٥٥) القالي (أبو علي)، **الأمالي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨، ١/ ص٤٥.

(٥٦) الخالديان (أبو بكر محمد بن هاشم، وأبو سعيد عثمان بن هاشم)، **الأشباه والنظائر**، حقّقه: محمد يوسف، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥، القاهرة، ٢/ ص٢٨٩.

(٥٧) **ديوان جرير**، ص٣٩١، ص٨٠٠.

(٥٨) الجراوي (أبو العباس أحمد بن عبد السلام)، **الحماسة المغربية**، حقّقه: محمد رضوان الداية، دار الفكر، ١٩٩١، دمشق، ط١، ص٦٤٥- ٦٤٦.

(٥٩) **ديوان جرير**: ص٥٧١.

(٦٠) البصري (صدر الدين علي بن أبي الفرج)، **الحماسة البصرية**، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن بالهند، ١٩٦٤، ط١، ٢/ ص٣٠٧.

(٦١) الآمدي (الحسن بن بشر) **المؤتلف والمختلف**، ص١٩.

(٦٢) الطيالسي(جعفر بن محمد)، **المكاثرة عند المذاكرة،** حقّقه: محمد تاويت الطنجي، ١٩٥٦، أنقرة، ص١١. وحزام بن عقبة لم لم أعثر على ترجمة فيما بين يديّ من مصادر. أمّا يوسف بن عمر بن الحكم الثقفي فهو أمير من جبابرة الولاة في العهد الأموي، وليَ اليمن، ثم العراق وخراسان، توفي مقتولاً سنة ١٢٧هـ (الأعلام: ٨/ ص٢٣٤).

(٦٣) انظر: ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**: ص٣٣٩- ٣٤٠.

(٦٤) انظر الأبيات في:

جمهرة نسب قريش: ص١٣٤- ١٣٥، وتاريخ مدينة دمشق: ١٠/ ص٤١١.

(٦٥) انظر الأبيات في: **ديوان جرير**، ص٨٠٠.

(٦٦) الأبيات في **ديوان جرير**: ص٣٩١.

(٦٧) لم أعثر على هذا الاسم في المصادر وكتب التراجم، ولعلّه وقع في اسمه تحريف.

(٦٨) لم أعثر على هذا الاسم فيما بين يديّ من كتب التراجم، وإنما ورد ذكر الجراح بن عبد الله الحكمي، الذي ولي البصرة للحجاج وتوفي سنة ١١٢هـ (الأعلام: ٢/ ص١١٥).

(٦٩) ذكر ياقوت الحموي أبياتاً من شعره في **معجم البلدان**: ٢/ ص٤٩٦ (دير ابن عامر).

(٧٠) شاعر فصيح خطيب، تولّى أعمالاً لأوائل الخلفاء العباسيين، انظر أخباره في **الأغاني**: ٢٣/ ص٣٨٦- ٣٩٣.

(٧١) هو زياد بن سليمان من شعراء الدولة الأموية، كانت في لسانه عجمة، فلُقّب بالأعجم، ولد ونشأ بأصفهان، واشتهر بالمديح والهجاء، توفي نحو ١٠٠هـ(الأعلام: ٣/ ص٩١).



الفصل الثالث

المفاضلة بين الشعر والنثر في التراث النقدي الأندلسي

موضوع المفاضلة بين الشعر والنثر من القضايا التي أولاها النقاد العرب القدامى كثيراً من عنايتهم، وخصوصاً بمزيد من اهتمامهم.

وقد اشتدّ الجدل حول هذه القضية بين المفكرين والمتفلسفين من النقاد في القرن الرابع الهجري، من أمثال أبي سليمان المنطقي(ت: ٣٨٠هـ)، وأبي إسحق الصابي(ت: ٣٨٤هـ)، وابن هندو الكاتب(ت: ٤٢٠هـ)، وأبي عليّ مسكويه(ت: ٤٢١هـ)، وغيرهم ممن تناول أبو حيّان التوحيدي(ت: ٤١٤هـ) آراءهم ومواقفهم في مقابساته ومسائله ومناقشاته. فقد روى في كتابه «المقابسات» مقابسة عن أبي سليمان المنطقي «في النثر والنظم وأيهما أشدّ أثراً في النفس»[١]، ونقل في كتابه «الهوامل والشوامل» إجابة أبي علي مسكويه عن سؤال يتعلق بالنظم والنثر، وعن مرتبة كلّ واحد منهما، وطبقات الناس فيهما. وانتهى إلى «أنّ الأكثرين قدّموا النظم على النثر، ولم يحتجوا فيه بظاهر القول، في حين قدّم الأقلّون النثر وحاولوا الحِجاج فيه»[٢].

ويبدو أن مسألة المفاضلة هذه كانت تجول في ذهن أبي حيّان، وتشغل باله، مما جعله يتناولها بالتفصيل في واحدة من مسامراته في كتابه «الإمتاع»، فقد روى أنّ الوزير قال له في الليلة الخامسة والعشرين: «أُحِبُّ أن أسمع كلاماً في مراتب النظم والنثر، وإلى أي حد ينتهيان، وعلى أي شكل يتفقان، وأيهما أجمع للفائدة، وأرجع للعائدة، وأدخل في الصناعة، وأولى بالبراعة»[٣]. فأجابه بما وعاه عن أرباب هذا الشأن، والقيّمين بهذا الفن إجابة طويلة مفصّلة، عرض فيها لآراء الفريقين[٤]، مما لا يتّسع المجال لمناقشته هنا.

ونجد الحاتمي(ت: ٣٨٨هـ)، وهو من النقاد المعدودين في القرن الرابع الهجري، يدلي بدلوه في موضوع المفاضلة بين الشعر والنثر، ويميل إلى الشعر، إذ

يقول فيه: «وَأَوْلى هذين بالمزية والقدم المتقدمة المنظوم، فإنّه أبدع مطالع، وأنصع مقاطع، وأطول عناناً، وأفصح لساناً، وأنور أنْجُماً، وأنفذ أَسْهُما، وأشْرَد مَثَلاً، وأسْيَرُ لفظاً ومعنى»(٥).

وعرض المرزوقي(ت: ٤٢١هـ) في مقدمته على شرح حماسة أبي تمام لقضيَّة المفاضلة بين الشعر والنثر، فمال إلى جانب النثر، وفَضّله على الشعر، مُحْتَجّاً لذلك بثلاثة أسباب، أولها: أنّ الخطابة كانت لدى الجاهليين أهم من الشعر، وكانوا يعدّونها أكمل أسباب الرياسة، وأفضل آلات الزعامة. وكانوا يأنفون من الاشتهار بقرض الشعر، ويَعُدّه ملوكهم دناءة. وثانيها: أنّ الشعراء حطّوا من قيمة الشعر باتخاذهم الشعر مكسبة وتجارة، فمدحوا السّوقة، وتعرضوا لأعراض الناس، فوصفوا اللئيم عند الطمع فيه بصفة الكريم، والكريم عند تأخر صلته بصفة اللئيم. وثالثها: أنّ الإعجاز بالقرآن لم يقع بالنظم. ولهذه الأسباب كان النثر – عنده- أرفع شأناً من الشعر، ومن ثم تأخرتْ مرتبة الشعراء عن الكُتّاب(٦).

أمّا ابن رشيق (ت: ٤٥٦هـ) فقد استهل كتابه «العمدة» بباب وسمه بعنوان «باب في فضل الشعر» انتصر فيه للشعر، وتصدّى للردّ على حجج المرزوقي وغيره من القائلين بتفضيل النثر(٧). ولم يكتف ابن رشيق بذلك، بل وضع ثلاثة أبواب أخرى، ردّ في أوّلها على من يكره الشعر، وخصّص ثانيها لأشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء، وجعل ثالثها لمن رفعه الشعر ومن وضعه(٨).

وليس تَقَصّي آراء النّقاد العرب القدامى ومواقفهم من قضية المفاضلة بين الشعر والنثر من غايتنا هاهنا، ولكننا عَرضْنا لبعض تلك المواقف والآراء بالقدر الذي يفيدنا في توضيح آراء ومواقف النّقاد الأندلسيين من هذه القضية، وهو ما سنحاول تبيانه في الصفحات الآتية:

وأول من يطالعنا من الأندلسيين أبو عامر بن شهيد(ت: ٤٢٦هـ) الذي لم يتوقف عند موضوع المفاضلة. ولكنه – فيما يُسْتَدلّ من كلامه- كان يميل إلى النثر مع حبه الشديد للشعر، ويظهر ذلك في رحلته المتخيّلة إلى أرض الجن، إذ يقول: «تذاكرتُ يوماً مع زهير بن نمير أخبار الخطباء والشعراء، فقال لي: حَلَلْتَ أرض الجنّ أبا عامر، فبمن تريد أن نبدأ؟ قلت: الخطباء أولى بالتقديم، ولكنني إلى الشعراء أشوق»[٩]. وهو يقصد بالخطباء جماعة الكُتّاب؛ إذ مثّل لهم بالجاحظ وعبد الحميد الكاتب وغيرهما.

أمّا الفقيه ابن حزم الأندلسي(ت: ٤٥٦هـ) فلم يخص مسألة المفاضلة بالمناقشة، كما فعل معاصره ابن رشيق. ولكننا من تقسيمه الشعر إلى مباح ومكروه ومحرّم، ووضعه أوصافاً لكلّ قسم، نستشف أنه يقدّم النثر ويميل إليه؛ إذ إنه لم يقسّم النثر إلى مثل تلك الأقسام، ولم يضع شروطاً ومقاييس، لقبوله أو رفضه، كما فعل في الشعر.

ومن الشعر المحرّم الذي ينبغي تَجنُّب نظمه وروايته -كما يرى ابن حزم-: شعر الغزل، والأشعار المقولة في التصعلك، وأشعار التغرب، وشعر الهجاء[١٠]، الذي عدّه ابن حزم من أشد ضروب الشعر إفساداً؛ لأنه – كما يقول-: «يهوّن على المرء كونه في حالة أهل السّفه المتكسبين بالسّفاهة والنذالة والخساسة، وتمزيق الأعراض، وذكر العورات، وانتهاك حُرَم الآباء والأمهات، وفي هذا حلول الدمار في الدنيا والآخرة».[١١] أمّا المديح والرثاء فهما مباحان لما فيهما من ذكر فضائل الموت والممدوح، ومكروهان لأن أكثرهما قائم على الكذب، ولا خير في الكذب[١٢].

وابن حزم – بتقسيماته التي أشرنا إليها- يكون قد سبق إلى ترسيخ النظرة الدينية والنزعة الأخلاقية، وأثرهما في تقويم النص الشعري والحكم عليه. كما

أنه يكون قد حدّد الإطار الذي يجب على الشاعر أن ينظم فيه تجاربه الشعرية، والذي ينبغي عليه ألاّ يتجاوزه. «فلا تكون الأشعار إلاّ من التي فيها الحِكَم والخير كشعر حسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وكشعر صالح بن عبد القدوس، ونحو ذلك، فإنها نِعْمَ العون على تنبيه النفس»(١٣).

وكان لموقف ابن حزم من الشعر أثر واضح في توجيه سير المفاضلة بين الشعر والنثر لدى عدد من النقاد الأندلسيين، الذين أتوا بعده، كابن بسام الشنتريني، وابن عبد الغفور الكلاعي، وغيرهما ممن مالوا إلى تفضيل النثر على أساس من النزعة الدينية الأخلاقية، التي كان ابن حزم قد بذر بذورها، وأرسى قواعدها في الحكم للشعر أو عليه. وفي ذلك يقول د. محمد رضوان الداية: «إنّ ابن حزم يُعَدّ ممن حملوا راية تحكيم الدين في تذوق الشعر والحكم عليه، ولحق به ابن بسّام وابن عبد الغفور الكلاعي وغيرهم»(١٤).

وعندما نصل إلى أبي الطاهر محمد بن يوسف السّرقسْطي(ت: ٥٣٨هـ) نجده يشغل نفسه بمناقشة هذه القضيّة أيّهما أسبق؟ وأيهما أفضل؟ ويخص موضوع المفاضلة بين الشعر والنثر بالمقامة الخمسين، التي أنهى بها مقاماته اللزومية، وجعلها بعنوان: «في النظم والنثر»(١٥)، واستهلّها بقوله على لسان راوي مقاماته السائب بن تمام: «هذا النظم والنثر. كيف القُلُّ فيهما والكُثْر وأيُّ النّصل أو الأثر. وأيهما في النفوس أوقع، وأشفى لغله الصّادي وأنقع...»(١٦). ثم نسّق في مقامته محاورة طويلة بين أنصار الشعر وأنصار النثر، وجعل كلّ فريق منهما يدلي بدلوه، وينتصر لما يوافق هواه وميله. فالذين يفضّلون الشعر يحتجون له بأنه «أصعب مرتقى، وأعذب منتقى. وأبدع لفظاً، وأسرع حفظاً... وأقصر معانٍ، وأنجد مبانٍ. وأورى زنْداً، وأذكى رندا. وأجرى على اللسان وأحرى بالإحسان. وأبعثُ للطرب، وأذهب للكُرَب... وقد حكم الأكابر والأعاظم، أنه

ما عجز عن النثر ناظم. وكم عجز عن النظم ناثر، وأنّى وجدّه العاثر...»[١٧].
وجعل السّرقسطي من دواعي فضل الشعر وجوده في العرب والعجم، ثم جعل العرب أحق به لجمال اللفظ العربي وعنايتهم بالشعر عناية كبيرة[١٨].

أمّا القائلون بتفضيل النثر فقد احتجوا له بأنه «أيسر مطلبا، وأدَرُّ حَلَبا. وأطوع عِنانا، وأنفذ سِنانا. به تُملك الممالك، وتُسلك المسالك، وتُخدم الرياسة، وتقام السياسة. وتُصان الأحوال، وتُحفظ الأموال... بألفاظه توثق العهود، ويُضبط الشاهد والمشهود. وتُحَلّى التواريخ وتُزيّن، وتُعرف الوقائع وتُبَيَّن... ويكفي النثر من الفضيلة، والرتب الجليلة. تضمّنه لسائر العلوم، وإن نَدَرَ مجيئها باللفظ المنظوم. وأعظم من ذلك أنه معجزات خير البريّة، وأكرِمْ بذلك مزيّة شرف، وشرف مزيّة...»[١٩].

وحاول السّرقسطي التقريب بين وِجْهَتي نظر الفريقين، فدفع عن الشعر ما يثار حوله من الكذب، وتصريفه في الأغراض المرذولة، فقال: «وإنْ شابوه كذبا ومَيْناً، فقد أغْضَوا عليه عَيْنا، وإنّما حمدُه أوفر من ذمّه، وشُهْدُه أكثر من سُمّه، فمُصَرِّفه إلى الرذائل مرذول، وثانيه عن المقصد ملوم ومعدول»[٢٠]. ودافع عن النثر بأنّ افتقاده النظم والوزن لا يضيره، مادام رائقاً في لفظه وتعبيره، جميلاً في شكله، فقال: «هو الدرّ منظوماً أو منثوراً، والحكمة متروكاً أو مأثوراً، وما يضرّ الدرّ إن لم تنظمه النواظم، وقد فضّلَتْه الأكابر والأعاظم»[٢١].

وانتهى السّرقُسْطيّ إلى ضرورة تجنُّب المفاضلة بين الشعر والنثر على سبيل العموم، ما دام كلّ منهما فن قَوْليّ، له وظيفة وغاية، وتجري عليه معايير القبح والجمال، والإبداع، والإخفاق، فلكل منهما فضله في مجاله. ويخاطب أنصار الفنّين بقوله: «فلا تُفَضِّلا قائلاً على قائل، إلاّ بفضل فاضل، وطَوْل طائل،

والإحسان ضروب، والشمس طلوع وغروب... وخُذا في كل الأحوال بالأعدل الأقسط، وميلا إلى السهل والأبسط، ولا تَعْدلا عن السّواء الأوسط»[٢٢].

ودعوة السَّرقسطي إلى الأخذ بالسّهل والأبسط دعوة غريبة، وهو الذي ملأ مقاماته تعقيداً وإغراباً، قصد إليه قصْداً، كما أنه التـزم في مقاماتـه مـا لا يلـزم، ولعل التزامه السجع في مقامته، هو الذي أدّى به إلى استخدام «السهل الأبسط»، ولعلّه لم يكن يقصد ذلك حقيقة.

أمّا ابن بسّام فإنه لا يقف طويلاً عند موضوع المفاضلة، ولا يفرد له فـصلاً خاصّاً. ولكننا نستطيع أن نتعـرف موقفـه مـن خـلال توضـيحه للمـنهج الـذي اعتمده، وسار عليه في كتابه «الذخيرة»، إذ يقول: «وبدأتُ بذكر الكتّاب، إذ هـم صدور في أهل الآداب»[٢٣]. فهو يعتبر الكتّـاب أرفـع شـأناً، وأجـلّ منزلـة مـن الشعراء، لذلك يبتدئ بهم. وقد عدّ أحد الباحثين تقديم ابن بسام للكتّاب على الشعراء إدانة للشعر والشعراء معاً[٢٤].

وفي توضيح المنهج الذي اتّبعه في تأليف «ذخيرته» نجد ابن بـسّام يلجـأ إلى التمثيل لطريقته في الترتيب، مُطَبَّقةً علـى إحـدى المنـاطق الجغرافيـة الأندلـسية، وهي قرطبة، فيقول: «فأوّل ما ذَكَرْتُ من أهل قرطبة مـن كـان بهـا مـن ملـوك قريش، في المدة المؤرّخة من أهل هذا الشأن، ثمّ من تعلّق بسلطانهم، أو دَخَلَ في شيء من شأنهم، وتلوتُهُم بالكتاب والوزراء، ثمّ بأعيـان الـشعراء...»[٢٥]. وقـد التزم في منهجيّة ترتيبه لتراجم كتابه بتقديم الكتّاب على الشعراء. وعنـدما كـان يترجم لأديب يجمع بين الشعر والنثر– وهم كثيرون في كتابه – فإنّـه كـان يـورد شيئاً من نثره أوّلاً، ثمّ يُتبعه بأبيات من شعره، وقد تَمسّك بذلك حتى في حديثه عن الأدباء، الذين كانت شـهرتهم في مجـال الـشعر، كـابن زيـدون، وابـن درّاج القسطلي، وابن خفاجة الأندلسي، وغيرهم. فكان يبدأ الحديث عن نثرهم أوّلاً،

ويورد فصولاً منه، ثم ينتقل إلى مختاراتهم الشعرية. فعلى الرغم من أنّ ابن درّاج القسطلي كان في وقته «لسان الجزيرة شاعراً وأوّلاً، حين عَـدَّ معاصـريه»[٢٦] إلاّ أنّ صاحب «الـذخيرة» يبـدأ بفـصول مـن نثـره، ثـم ينتقـل إلى مجموعـة مـن قصائده[٢٧]. وكذلك ابن خفاجة، فهو – عند ابن بسّام-: «الناظم المطبوع الـذي شهد بتقديمه الجميع... ومن شعره ما يبطل السحر، ويعطّل الزَّهـر»[٢٨]، ولكـن شاعريته لم تشفع له بتقديم شعره على نثره.

وابن بسّام الذي نظم الشعر، واحتفظ لنا كتاب «الذخيرة» ببعضه القليـل، وجمع في موسوعته «الذخيرة» آلاف الأبيـات مـن الـشعر، يتحـدّث عـن الـشعر فيقول: «... ومالي وله، وإنّما أكثره خدعة محتـال، وخلعـة مختـال، جِـدُّه تمويـه وتخييل، وهَزْله تدليه وتضليل»[٢٩].

وقد تساءل الدكتور إحسان عباس قائلاً: «ولا ندري أكان ابن بسام حقّاً لا يؤمن بالشعر؟ أمْ كان يداري نظرة سائدة في زمانه إلى الشعر حـين قـال: «جـدّه تمويه وتخييل، وهزله تدليه وتضليل»[٣٠]. ونحن نتساءل أيضاً: إذا كـان الـشعر – عند ابن بسّام- تمويهاً وتدليهاً، فلماذا أجهد نفسه بجمعه واختياره وتقليبه؟

وفي رأينا أنّ ابن بسام، بموقفه من الشعر، قد ناقض نفسه، فهو لم يكتف بما جمعه من آلاف الأبيات من الشعر في موسوعته «الذخيرة»، بل إنـه جمـع واختـار أيضاً شعر عدد من الشعراء، منهم: أبو محمد بن عبد الجليل بن وهبون في كتاب سمّاه «الإكليل المشتمل على شعر عبـد الجليـل»، والمعتمـد بـن عبّـاد في كتـاب وسمه بـ «الاعتماد على ما صحّ من أشعار المعتمد بن عباد»، وأبو بكر بن عمار في كتاب عَنْوَنَ له بـ «الاختيار من أشعار ذي الوزارتين أبي بكر بن عمـار»[٣١]. ومن يجمع ويختار هذا الكمّ من الشعر، وهو لا يؤمن بـه، لا شـك أنـه ينـاقض نفسه.

ويبدو أنّ صدور ابن بسّام – في نظرته إلى الشعر- عن نزعة دينية وأخلاقية، كان له أثره الواضح في تشكيل موقفه من الشعر، وتحديد سير المفاضلة بين الشعر والنثر عنده، وتحديد اتجاهها. وهذا الموقف هو الذي جعله يهاجم شعر المعرّي الذي فُهِمَ منه الخروج على الشريعة(٣٢)، كما أنه هاجم شعر السُّميسر(٣٣)، الذي نهج فيه بشيء من المنطق والفلسفة.

ويلحق بهذا الموقف الديني الأخلاقي – عند ابن بسام- حَمْلَتُه على شعر الهجاء؛ لأنه يشين صاحبه، ويلحقه بالسفهاء، ولذلك حاول ألاّ يودع كتابه «الذخيرة» شيئاً من شعر الهجاء، إذ «ليس عنده إعادة ولا إبداء، ولا من كتابه أرض ولا سماء»(٣٤). ويرى د. إحسان عباس أنّ ابن بسّام ربما كان خاضعاً للوازع الأخلاقي الديني في رفضه الهجاء، غير أنه أضاف عاملاً اجتماعياً، يتمثل في أنّ ابن بسام كان يؤرخ العلاقات بين الأحياء- في الغالب- ولذا كان حريصاً على أن ينفي من كتابه كلَّ ما قد يؤذي مشاعرهم، رعاية للعلاقات الاجتماعية(٣٥). وهذه نظرة سليمة فيما نرى؛ لأنّ ابن بسام أحسّ بالأثر الاجتماعي الذي تركه كتاب «يتيمة الدهر» للثعالبي (ت: ٥٢٩هـ)، فكان ذلك منبّهاً له لئلا يثقل كتابه «الذخيرة» بهذا الاتجاه الشعري؛ لأثره السيء في النفوس فراعى مشاعر أبناء بلده وعصره «لأن أبا منصور الثعالبي- كما يقول ابن بسام- كتب في (اليتيمة) ما شانه وسمه، وبقي عليه إثمه»(٣٦).

ويترجح لدينا أن ابن بسام- في حَمْلَته على شعر الهجاء- كان متأثراً بالنزعة الدينية الأخلاقية ذاتها، التي كان ابن حزم بسببها قد أدخل شعر الهجاء في دائرة الشعر المحرّم.

وبالإضافة إلى هذه النزعة الدينية الأخلاقية التي جعلت موقف ابن بسام من الشعر متشدّداً، فإنّ هناك أسباباً أخرى تتصل بشخصية ابن بسّام، نستشفها

من قوله: «ومع أنّ الشعر لم أرْضَه مركباً، ولا اتخذتُه مكسبا، وإنّما زرته لِماماً، ولَمحتُه تهمُّما لا اهتماما، رغبة بِعِزِّ نفسي عن ذلّه، وتَرْفيعاً لموطئ أخمصي عن محله...»[٣٧]. فارتباط الشعر بالتكسب جعل ابن بسام يفضل النثر عليه؛ لأنه يترفع عن أن يذلّ نفسه بسؤال أو طلب عطاء. ومثل هذا النفور من التكسب بالشعر نجده عند عدد من النقاد والشعراء الأندلسيين، الذين رفضوا التكسب بالشعر لعوامل شخصية ونفسية، يدخل فيها دفاع الشاعر عن كرامته، أو قناعته بما لديه من مال يجنّبه ذلّ السؤال. فهذا ابن خفاجة (ت:٥٣٣هـ) يُعرِض عن مدح ملوك الطوائف بدافع عزة النفس وعفّتها، وقد عرف له نقّاد عصره ومترجموه عزوفه عن التكسب بالشعر، وإلى ذلك أشار ابن بسام في قوله: «ولا أعرفه تَعرّض للملوك الطوائف بوقتنا، على أنه نشأ في أيامهم، ونظر إلى تهافتهم في الأدب وازدحامهم».[٣٨]

ولعلنا لا نبالغ إذا أضَفْنا سبباً آخر نفسّر به موقف ابن بسّام من مسألة المفاضلة بين الشعر والنثر، وهو أنّ شهرة ابن بسّام تعود إلى نثره في كتاب «الذخيرة»، وأنه لم يكن من الشعراء المبرزين، وقد أشار إلى هذا بعض النقاد والأدباء الأندلسيين. فهذا ابن سعيد الأندلسي يترجم لابن بسّام في كتابه «المغرب»، ويَعُدُّه من كتّاب الطبقة الأولى في وقته، ويقول: «ونثره في كتاب «الذخيرة» يدل على علوّ طبقته، أمّا ما أنشده فيها لنفسه من الشعر فنازل»[٣٩]. أمّا المقرِّي فقد قال في حديثه عن ابن بسّام: «وشهرته تغني عن ذكره، ونظمه دون نثره»[٤٠]. فربّما يكون ابن بسّام قد أحسّ بتفوقه في مجال النثر، فمال إلى الجانب الذي تفوّق فيه وأبدع.

وينطلق أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي(ت: ٥٥٠ أو ٥٥٤هـ) في تناوله لقضية المفاضلة بين الشعر والنثر من النزعة الدينية والأخلاقية التي

انطلق منها صاحبه ومعاصره ابن بسّام، فينقل في كتابه «إحكام صنعة الكلام»، ما كان تناوله في كتابه «ثمرة الأدب» من اختلاف الناس في المفاضلة بين الشعر والنثر، ويرى أنّ هذا الموضوع «يمٌّ خاض فيه الخائضون، وميدان قد ركض فيه الراكضون». ويعقد من أجل هذا الغرض فصلاً وسمه بعنوان «في الترجيح بين المنظوم والمنثور»[٤١]، عرض فيه موقفه المتمثل في تفضيل النثر لأسباب، منها:

أنّ النثر أصل، والنظم فرع تولّد منه، كما أنّ الشعر قد يحمل الشاعر على الغلو في الدين، أو فساد العقيدة، وقد يحمله على الكذب. ومن معايب الشعر -عنده- أنّه قلّما يجيده إلاّ متكسّب، وأنه يحمل الشاعر على خطاب الممدوح بالكاف، ودعائه باسمه، ونسبه إلى أمّه، وهذا كلّه من سوء الأدب، أو داعٍ إليه...»[٤٢].

ولم يقتصر موقف الكلاعي من قضية المفاضلة بين الشعر والنثر على الناحية النظرية، ولكنه تجاوز ذلك إلى الجانب التطبيقي، فقد وضع كتابه «إحكام صنعة الكلام»، لدراسة النثر وفنونه، وبَحْثِ أنواعه وضروبه، إذ يقول: «وإنما خَصَصْتُ المنثور؛ لأنه الأصل الذي أمن العلماء- لامتزاجه بطبائعهم- ذهاب اسمه فأغفلوه، وضمن الفصحاء- لغلبته على أذهانهم- بقاء وسمه فأهملوه، ولم يحكموا قوانينه، ولا حصروا أفانينه. وأمّا النظم ففرع تولّد منه، ونَوْر تطلّع عنه. فرأى العلماء – خوفاً أن تتحيّف الأزمان ما اختص به من القوافي والأوزان- أن يَعُدّوا سواكنه وحركاته، ويحكموا قوانينه وصفاته، ويلقبوا ذلك ألقاباً، ويبوّبوه أبواباً»[٤٣].

والكلاعي لا يكلفنا عناء البحث عن سبب ترجيحه النثر، وتفضيله على الشعر، فقد ذكر أنه لم يترك الشعر عن عجز أو ضعف، فهو يقول: «كنتُ مولعاً بتصنيعه وترصيعه، مائلاً في تقريطه وتشنيفه إلى مرتبة كنت أعدّها أعلى المراتب، ومنقبة كنت أعتقدها أسنى المناقب»[٤٤]. وقد أشاد معاصره الفتح بن خاقان

(ت: ٥٢٩هـ) بشاعريته، وأثنى على شعره بقوله: «وله شعر بديع السّرد، مفوّف البُرْد»[٤٥]. ولكن الكلاعي رجّح النثر على الشعر لاعتبارات دينية بالدرجة الأولى، تتمثل في نزوعه وميله إلى علم الشريعة، مما جعله يرفض الشعر «رَفْضَ الشعلة للزناد، وينفضه نَفْضَ القادم الغانم جافّ الزاد»[٤٦]. ولنستمع إليه يقول: «... فنزعتُ منزعاً كريماً من علم الديانة، واقتصرْتُ من قسمي البلاغة على قسم الكتابة؛ لأنها أنجح عاملاً، وأرجح حاملاً، وأكرم طالباً، وأسلم جانباً»[٤٧].

ويضيف الكلاعيّ قائلاً: «ولمّا مِلْتُ- أعزّك الله- إلى التّفقّه بالشرع، كرهتُ أن يخلق بُرْد الشباب، قبل أن أطرّزه بعلم المتاب»[٤٨]. ولذلك لجأ – كما يقول- إلى مضاهاة أبي العلاء المعري(ت: ٤٤٩هـ) ومعارضته في كثير من رسائله ونثره، «فعارضْتُه في رسالة (الصاهل والشاحِج) برسالة عرفتها برسالة (الساجعة والغربيب)، وعمدتُ إلى (خطبة الفصيح) فعارضته بـ (خطبة الإصلاح)..»[٤٩].

وبالإضافة إلى أثر هذه النزعة الدينية في توجيه المفاضلة بين الشعر والنثر لدى الكلاعي، فإنّ ارتباط الشعر بالتكسب من الأسباب التي جَعَلتْه يميل إلى النثر؛ لأن التكسب بالشعر – في نظره- من معايب الشعر التي جعلته ينفر منه. وهو ينقل عن أبي العلاء المعري قوله: «الشعر إذا جُعل مكسبا، لم يترك للشاعر حَسَبا، وإذا كان لغير مكسب حسن في الصفات والنّسب»[٥٠].

ولا بأس في الإشارة هنا إلى أنّ موقف الكلاعي من قضية المفاضلة يكاد يكون متوافقاً مع موقف ابن بسّام الشنتريني، فموقفهما يتمثل في تفضيل النثر على الشعر، ودواعي هذا الموقف وأسبابه متشابهة لديهما إلى حد التطابق. ونحن قد لا نستغرب هذا إذا ما عرفنا أنّ الكلاعي كان – كما يذكر ابن الأبار-: «ممن صحب ابن بسام، وكان من طبقته»[٥١].

ولنا على تناوُل الكلاعي لقضية المفاضلة بين الشعر والنثر ملاحظتان:

أولاهما: إنّ كثيراً ممّا عدّه الكلاعي من معايب الشعر، كان ابن رشيق - من قبل- قد ذكره في فضائل الشعر، عندما قال: «ومن فضائل الشعر أنّ الشاعر يخاطب الملك باسمه، وينسبه إلى أمّه، ويخاطبه بالكاف، كما يخاطب أقلّ السوقة، فلا ينكر ذلك عليه، بل يراه أوكد في المدح، وأعظم إشهاراً للممدوح... ومن فضائله أن الكذب - الذي اجتمع الناس على قبحه- حسن فيه، وحسبك ما حسّن الكذب، واغتفر له قبحه...»(٥٢). ويغلب على ظننا أنّ الكلاعي قد اطّلع على ما جاء في كتاب «العمدة»، أو على كُتُبٍ أخرى نقلْت عنه، فهو وإن لم يذكر كتاب «العمدة»، ولم يصرّح باسْم صاحبه، فإن تشابه عبارتيهما إلى هذا الحدّ يقوّي ما رجّحناه.

أمّا الملاحظة **الثانية** فهي أنّ انطلاق الكلاعي في مسألة المفاضلة من نزعة دينية أخلاقية أوقعه في التناقض. فبعد أن عدّ الوزن في الشعر من فضائله ومزاياه، وعبّر عن ذلك بقوله: «ورأيي أن القريض قد تزيّن من الوزن والقافية بحلة سابغة ضافية، صار بها أبدع مطالع، وأصنع مقاطع...»(٥٣). عاد وسلك الوزن في معايب الشعر، فقال: «ومن معايب الشعر ما فيه من الوزن؛ لأن الوزن داع للترنم، والترنم من باب الغناء، وقد قال بعضهم: الغناء رقية الزنا»(٥٤).

ويبدو أنّ النزعة الدينية والأخلاقية اللتين مَثّلتا اتجاهاً قوياً لدى ابن حزم، وابن بسام، وابن عبد الغفور الكلاعي وغيرهم، وأثّرتا في توجيه سير المفاضلة بين الشعر والنثر عندهم، قد أخذت تخفّ حدّتهما ووطأتهما في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، بعد انتهاء حكم المرابطين الذين سادت البلاد في عهدهم نزعة دينية متشددة، إذ بسط الفقهاء نفوذهم، فكان لهم - كما يقول المقّريّ- «رونق ووجاهة... وسمة الفقيه عندهم جليلة، حتى أنّ الملثمين كانوا يسمون الأمير المعظم منهم- الذي يريدون تنويهه- بالفقيه»(٥٥).

وليس أدل على الربط بين الشعر وآلاته ومتعلقاته وبين الدين من قول ابن السراج الشنتريني (ت: ٥٥٠هـ) في مقدمة كتابه «المعيار في أوزان الأشعار»: «إنّ الشعر لمّا كان ديوان العرب المثقّف لأخبارها، والمقيّد لأوزان كلامها، والمبين لمعاني ألفاظها، والمنبه على آدابها، ومكارم أخلاقها، وكان حجة نرجع إليها في تفسير ما أشكل من كتاب الله تعالى، ومفزعاً يُلجأ إليه في بيان ما استُبهم من حديث رسول الله ﷺ، رأيت أنّ العناية بمعرفة أوزانه مهمة في الدين استخرت الله تعالى في إنشاء كتاب، يُرْجَعُ إليه في هذا الشأن، ويُعتصم به عند إشكال شيء من الأوزان...»[٥٦].

أمّا حازم القَرطاجنّي(ت: ٦٨٤هـ)، فقد تناول الخصائص العامة للشعر العربي، وقارن بينه وبين الخطابة، ولكنه لم يلجأ إلى المفاضلة بينهما، إيماناً منه بأنّ لكل منهما خصائصه ومزاياه[٥٧].

وابن سعيد الأندلسي(ت: ٦٨٥هـ)، - وإن لم يكن لكتبه صلة مباشرة بالنقد، إلاّ أنها لا تخلو من نظرات نقدية، ومن تطبيقات بلاغية- قسّم الكلام شعراً كان أم نثراً خمسة أقسام هي: المرقص، والمطرب، والمقبول، والمسموع، والمتروك[٥٨]. ثمّ تحدّث عن تلك الأقسام، فعرّفها، ومثّل لها، ولكنّ أكثر أمثلته وشواهده كانت من الشعر، في حين كانت أمثلته وشواهده النثرية قليلة. ولا ندري إن كان إكثاره من الأمثلة والنماذج الشعرية دليلاً على تفضيله الشعر، أم لأن الشعر – كما يقول-: «أعلق في الأفكار، وأجول في الأقطار، وهو معين على نفسه في تذكاره وَدَرْسِه»[٥٩].

وعقد ابن الأحمر الغرناطي الأندلسي (ت: ٨١٠هـ)، وهو من الأدباء النقاد، وكتّاب التراجم في الفترة الأخيرة بالأندلس باباً مطوّلاً بعنوان: «فضل الشعر وإباحة إنشاده في المساجد»[٦٠]، تحدّث فيه عن فضائل الشعر، وكأنه يردّ

بذلك على الذين فَضّلوا النثر، وغضّوا من شأن الشعر لأسباب دينية وأخلاقية، بدليل قوله: «وبعض المتفقّهين الذين لا أدب عندهم، ولا هو من طبعهم، ينكرون الشعر ويذمّونه، ويرون أنه قبيح، وقائله مذموم... فليت شعري لم أنكروه، وهذا رسول الله – ﷺ- يحب سماع قصيدة امرئ القيس المذكورة، وكانت في أكثر الأوقات تُنشَد بين يديه...».[٦١] ويسترسل ابن الأحمر فينقل أبياتاً من شعر الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين، ثم أجمل رأيه بقوله: «إنّ الشعر ليس بنفسه بمنكر، وإنما المنكر المذموم: الإكثار منه، أو ما يتضمنه من الهجاء للمسلمين، وقذف المحصنات، والتشبيب بالحُرَم، وذِكْر أوصاف الخمر، وأنواع الباطل، مما يهيج الشر للمرتكبين لذلك ويجرئهم على المعاصي»[٦٢].

ولا يجد الباحث كبير عناء في رد آراء ابن الأحمر ورواياته إلى أصولها في كتاب «العمدة»، فأكثر ما جاء به منقول بلفظة عن الصفحات التي خصّصها ابن رشيق للحديث عن فضائل الشعر وآدابه، والرد على من يكره الشعر[٦٣].

وبعد، فإنه يمكننا القول: إنّ قضية المفاضلة بين الشعر والنثر التي شُغِل بها بعض النقاد الأندلسيّين، لم تقم على دراسات متعمقة في خصائص الفنّين، وإنما هي مناقشات سطحية، دارت في بعض جوانبها حول مسائل فلسفية كالأصل والفرع والجوهر والعرض، ودار بعضها الآخر حول الوزن وأهميته في الشعر، بالإضافة إلى تَناوُل هذين الفنين لموضوعات ومعانٍ تتصل بالناحيتين الدينية والأخلاقية. ولذلك فإن مناقشاتهم حول المفاضلة كانت – في أكثرها- تكراراً وإعادةً لما نجده عند سابقيهم، ولم تأت بمواقف جديدة تضاف إلى ما ذكره النقاد السابقون.

والمفاضلة بين الشعر والنثر – على أساس الأصل والفرع، والجوهر والعرض- من المسائل الفلسفية التي أسهب في تناولها المتكلمون والمتفلسفون من

النقاد في القرن الرابع الهجري، وقد أشرنا إلى ذلك. أمّا المفاضلة بينهما على أساس الوزن فحسب، فهي مفاضلة شكلية، تقوم على ظاهر الأدب وشكله الخارجي، دون حقيقته وجوهره. كما أنّ المفاضلة بينهما وفق مقاييس دينية وأخلاقية تخرج بهما عن طبيعتهما، كفنّين من فنون القول، لكل منهما وظيفته وغايته. فالموضوعات والمعاني التي من أجلها عيب الشعر، وفُضِّل عليه النثر، يمكن أن يتناولها النثر، وآنذاك سيعاب النثر من أجلها.

ونحن بدورنا نستنكر آراء المتعصبين لأي من الشِّعْر والنثر، فكلّ منهما له وظيفته وغايته، وكلّ منهما يفضل الآخر في مجاله، وهذا الموقف أقرب ما يكون إلى روح الأدب، باعتباره فنّاً يُعَبِّر شعراً ونثراً عن مجالات الحياة المختلفة.

الهوامش والتعليقات

(١) التوحيدي، أبو حيان، المقابسات، حقّقه: حسن السّنْدوبي، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة/ تونس، ١٩٩١، ط١، ص١٣٦.

(٢) التوحيدي، أبو حيان، الهوامل والشوامل، نشره أحمد أمين والسيد أحمد صقر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١، ص٣٠٨، ٣٠٩.

(٣) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، صحّحه وضبطه: أحمد أمين، وأحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ج٢، ص١٣٠.

(٤) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، ج٢، ص١٣١- ١٤٦.

(٥) الحاتمي (محمد بن الحسن)، حلية المحاضرة، حقّقه: هلال ناجي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٨٧٨، ج١، انظر ص٢١- ٢٧.

(٦) المرزوقي(أبو علي أحمد بن محمد)، شرح ديوان الحماسة، حقّقه: أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١، ج١،ط١، ص١٦- ١٨.

(٧) ابن رشيق(أبو علي الحسن بن رشيق)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، حقّقه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١، ج١، ط٥، ص١٩- ٢٦.

(٨) انظر: العمدة، ج١، ص٢٧- ٥٢.

(٩) الشنتريني(أبو الحسن علي بن بسام)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، حققه: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨، ق١م١ ص٢٤٨. وانظر أيضاً: ابن شهيد، رسالة التوابع والزوابع، تحقيق بطرس البستاني، مكتبة صادر، بيروت، ١٩٥١، ص٩١.

(١٠) ابن حزم(أبو محمد علي بن أحمد)، رسائل ابن حزم الأندلسي، حقّقه: د.إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣، ج٤، ط١، ص٦٧.

(١١) رسائل ابن حزم، ج٤، ٦٨.

(١٢) رسائل ابن حزم، ج٤، ٦٨.

(١٣) رسائل ابن حزم، ج٤، ٦٧.

(١٤) محمد رضوان الداية(الدكتور)، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١، ط٢، ص٣١٤.

(١٥) السرقسطي(أبو الطاهر محمد بن يوسف)، المقامات اللزومية، تحقيق بدر أحمد ضيف، القاهرة، ١٩٨٢، ص٥٤٧- ٥٦٥.

(١٦) المقامات اللزومية، ص٥٤٧.

(١٧) المقامات اللزومية، ص٥٤٨.

(١٨) المقامات اللزومية، ص٥٤٩.

(١٩) المقامات اللزومية، ص٥٥٣.

(٢٠) المقامات اللزومية، ص٥٥٧.

(٢١) المقامات اللزومية، ص٥٥٨.

(٢٢) المقامات اللزومية، ص٥٥٨.

(٢٣) الذخيرة، ق١م١ص٣٢.

(٢٤) علي بن محمد(الدكتور)، ابن بسام وكتاب الذخيرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩، ص٣٢٢.

(٢٥) الذخيرة، ق١م١ص٣٢.

(٢٦) الذخيرة، ق١م١ ص٦٢.

(٢٧) الذخيرة، ق١م١، ص٦٢- ٩٥.

(٢٨) الذخيرة، ق٣م٢، ص٥٤٢.

(٢٩) الذخيرة، ق١م١ص١٨.

(٣٠) إحسان عباس(الدكتور)، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١، ط٤، ص٥٠٢، وعبارة ابن بسام في الذخيرة، ق١م١ ص١٨.

(٣١) الذخيرة، ق٢م١ ص٤٧٧.

(٣٢) الذخيرة، ق٢م١ ص٤٨٢.

(٣٣) الذخيرة، ق١م٢ص٨٨٢.والسميسر هو أبو القاسم خلف بن فرج الألبيري، توفي سنة ٤٨٠هـ

(٣٤) الذخيرة، ق١م١ ص٣٧٩.

(٣٥) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص٥٠٣، وانظر أيضاً: تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، دار الثقافة، بيروت، ط٧، ١٩٨٥، ص١٠٠.

(٣٦) الذخيرة، ق١م١ ص٦٣.

(٣٧) الذخيرة، ق١م١ ص١٨.

(٣٨) الذخيرة، ق٣م٢ ص٥٤٢.

(٣٩) ابن سعيد الأندلسي(أبو الحسن علي بن موسى)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٤، ج١، ص٤١٨.

(٤٠) المقّري(أحمد بن محمد)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حقّقه: د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، ج٣، ص٤٥٨.

(٤١) الكلاعي(أبو القاسم محمد بن عبد الغفور)، إحكام صنعة الكلام، حققه: محمد رضوان الداية، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥، ط٢، ص٤٤-٤٧.

(٤٢) إحكام صنعة الكلام، ص٤٤- ٤٦.

(٤٣) إحكام صنعة الكلام، ص٣٩، ٤٠.

(٤٤) إحكام صنعة الكلام، ص٣٥.

(٤٥) ابن خاقان(أبو نصر الفتحبن محمد)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، حقّقه: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣، ط١، ص٢٢٠.

(٤٦) إحكام صنعة الكلام، ص٣٥.

(٤٧) إحكام صنعة الكلام، ص٣٥.

(٤٨) إحكام صنعة الكلام، ص٣٦.

(٤٩) إحكام صنعة الكلام، ص٣٤.

(٥٠) إحكام صنعة الكلام، ص٤٦.

(٥١) ابن الأبار(أبو عبد الله محمد)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عزت العطار، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٥، ج٢، ص٤٦٨.

(٥٢) العمدة، ج١، ص٢١.

(٥٣) إحكام صنعة الكلام، ص٤٤.

(٥٤) إحكام صنعة الكلام، ص٤٦.

(٥٥) نفح الطيب، ج١، ص٢٢١.

(٥٦) ابن السراج الشنتريني(أبو بكر محمد بن عبد الملك)، المعيار في أوزان الأشعار، حققه: محمد رضوان الداية، دار الأنوار، بيروت، ١٩٦٨، ط١، ص١١.

(٥٧) القرطاجني(حازم بن محمد)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦،ط٣، ص٦٣-٧١.

(٥٨) ابن سعيد الأندلسي، المرقصات والمطربات، نشرة دار حمد ومحيو، ١٩٧٣، ص٧.

(٥٩) المرقصات والمطربات، ص٩.

(٦٠) ابن الأحمر، إسماعيل بن يوسف، نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٦، ص٣١-٦٦.

(٦١) نثير الجمان، ص٣١.

(٦٢) نثير الجمان، ص٦١.

(٦٣) العمدة، ج١، ص١٩- ٥٢.

المصادر والمراجع

الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت ٣٧١هـ).

- المؤتلف والمختلف، حقّقه: عبد الستار أحمد بن فراج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد القضاعي الأندلسي (ت ٦٥٨هـ).

- التكملة لكتاب، الصلة، حقّقه: عزت العطار، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٥.

إبراهيم أنيس:

- موسيقى الشعر، دار القلم، بيروت.

إحسان عباس (الدكتور):

- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطية) ط ٧، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٥.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط ٤، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١.

ابن الأحمر الغرناطي الأندلسي، إسماعيل بن يوسف (ت ٨١٠هـ):

- أعلام المغرب والأندلسي (نثير الجمان في شعر من نظمي وإياه الزمان)، حقّقه: محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٦.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ):

- تهذيب اللغة، حقّقه: عبد السلام هارون، ط٦ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٦٤.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ):

- الأغاني، حقّقه، عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت،١٩٥٩.

الأعشى، ميمون بن قيس:

- ديوان الأعشى، شرح يوسف فريحات، ط ١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢.

ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٣٢٨هـ):

- الزاهر في معاني كلمات الناس، حقّقه: حاتم الضامن، ط٢، دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧.

البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد (ت ٢٨٤هـ):

- الحماسة، طبعة المكتبة، التجارية الكبرى بمصر،ط ١، ١٩٢٩.

ابن بدران، عبد القادر (ت ١٣٤٦هـ):

- تهذيب تاريخ دمشق، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩.

ابن بسّام الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسّام (ت ٥٤٢هـ).

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، حقّقه: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩.

البصري، صدر الدين علي بن أبي الفرج (ت ٦٥٦هـ):

- الحماسة البصرية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند، ١٩٤٦.

البغدادي، عبد القادر بن عمر(ت ١٠٩٣هـ):

- خزانة الأدب، حقّقه: عبد السلام هارون، ط١، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٨٤.

البكري، أبو عبيد الله، عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ):

- التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧.
- سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، حقّقه: عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦.
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، حقّقه: إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٧١.

- معجم ما استعجم، حقّقه: مصطفى السّقا، ط٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٣.

التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي (ت ٥٠٢هـ):

- شرح ديوان الحماسة، حقّقه: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٨٣.

أبو تمام، حبيب بن أوس (ت ٢٣١هـ):

- ديوان الحماسة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.
- الوحشيات (الحماسة الصّغرى)، حقّقه: عبد العزيز الميمني، ط١، دار المعارف بمصر، ١٩٦٣.

التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد (ت ٤١٤هـ):

- الإمتاع والمؤانسة، صحّحه وضبطه: أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- البصائر والذخائر، حقّقه: وداد القاضي، دار صادر، بيروت.
- المقابسات، حقّقه: حسن السندوبي، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ١٩٩١.
- الهوامل والشوامل، نشرة أحمد امين والسيد أحمد صقر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك (ت ٤٢٩هـ):

- التمثيل والمحاضرة، حقّقه: عبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن حجر، (ت ٢٥٥هـ):

- البخلاء،حقّقه، طه الحاجري، دار المعارف بمصر، ١٩٦٣.
- الحيوان، حقّقه: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦.

الجراوي، أبو العباس أحمد بن عبد السلام(ت ٦٠٩هـ):

- الحماسة المغربية، حقّقه: محمد رضوان الداية، ط ١، دار الفكر، دمشق، ١٩٩١.

جرير بن عطية الخطفي (ت ١١٤هـ):

- ديوان جرير، حقّقه: نعمان محمد أمين، ط١، دار المعارف، القاهرة.

ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ):

- الخصائص، حقّقه: محمد علي النجار، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٥.
- المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة، ط١، دار الهجرة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٨.

الجوهري، إسماعيل بن حمّاد(ت ٣٩٣هـ):

- تاج اللغة وصحاح العربية، حقّقه: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ):

- البخلاء، حقّقه: أحمد مطلوب وخديجه الحديثي، ط١، ١٩٦٤.

الحاتمي، محمد بن الحسن(ت ٣٨٨هـ):

- حلية المحاضرة، حقّقه: هلال ناجي، دار الرشيد للنشر، ١٩٧٨.

ابن حبيب، أبو جعفر محمد (ت ٢٤٥هـ):

- كنى الشعراء وألقابهم، حقّقه: محمد صالح الشناوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.

ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ):

- رسائل ابن حزم الأندلسي، حقّقه: إحسان عباس، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣.

ابن خاقان، الفتح بن محمد (ت ٥٢٩هـ):

- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، حقّقه: محمد علي شوابكة، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣.

الخالديان، أبو بكر محمد بن هاشم (ت ٣٨٠هـ)، وأبو عثمان سعيد بن هاشم (ت ٣٩٠هـ):

- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين، حقّقه: السيد محمد يوسف، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ):

- الاشتقاق، حقّقه: عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٥٨.

الراعي النميري، عبيد بن حصين (ت ١٩٦) ٩٧هـ):

- ديوان الراعي النميري، جمعه وحقّقه: راينهرت فايبرت، المعهد الألماني للبحوث الشرقية، بيروت، ١٩٨٠.

ابن رشيق، أبو الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـ):

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، حقّقه: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١.

الزبيدي، محمد مرتضى (ت ١١٤٥هـ):

- تاج العروس، حقّقه: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٣.

الزبير بن بكار، أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ):

- جمهرة نسب قريش، حقّقه: محمود محمد شاكر، مكتبة العروبة، القاهرة.

الزركلي، خير الدين:

- الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٠، بيروت، ١٩٩٢.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، (ت ٥٣٨هـ):

- المستقصى في أمثال العرب، ط٣، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١.

ابن السراج الشنتريني، أبو بكر محمد بن عبد الملك (ت ٥٥٠هـ):

- المعيار في أوزان الأشعار، حقّقه: محمد رضوان الداية، ط١، دار الأنوار، بيروت، ١٩٦٨.

سراقة بن مرداس البارقي (ت ٨٠هـ):

- ديوان سراقة بن مرداس البارقي، حقّقه: حسين نصّار، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٧٤.

السرقسطي، محمد بن يوسف (ت ٥٣٨هـ):

- المقامات اللزومية، حقّقه: بدر أحمد ضيف، القاهرة، ١٩٨٢.

ابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ):

- المرقص والمطربات، نشره دار حمد ومحيو، ١٩٧٣.
- المغرب في حلى المغرب، حقّقه: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٤.

ابن سلام، أبو عبد الله محمد (ت ٢٣١هـ):

- طبقات فحول الشعراء، حقّقه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٤.

شريف علاونه (الدكتور):

- شعر الصَّلَتان العبدي، ط١، عمان/ الأردن، ٢٠٠٧

ابن شهيد الأندلسي، أبو عامر أحمد بن مروان (ت ٤٢٦هـ):

- رسالة التوابع والزوابع، حقّقه: بطرس البستاني، مكتبة صادر، بيروت، ١٩٥١.

شوقي ضيف (الدكتور):

- التطور والتجديد في الشعر الأموي، ط٨، دار المعارف بمصر، القاهرة.

الطيالسي، جعفر بن محمد (من علماء القرن الرابع الهجري):

- المكاثرة عند المذاكرة، حقّقه: محمد تاويت الطنجي، أنقرة، ١٩٥٦.

العباسي، عبد الرحيم بن أحمد (ت ٩٦٣هـ):

- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، حقّقه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب، بيروت.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ):

- بهجة المجالس، حقّقه: محمد مرسي الخولي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.

عبدالحميد المعيني (الدكتور):

- شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي، نشر مؤسسة البابطين للإبداع الشعري، ٢٠٠٢.

ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ):

- العقد الفريد، حقّقه: عبد المجيد التّرحيني، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

عبدالرحمن عبدالكريم العاني (الدكتور):

- البحرين في صدر الإسلام، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٦هـ.

عبد الله الطيب المجذوب (الدكتور):

- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ط١، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٥.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ت ٢٠٧ – ٢١٣هـ):

– نقائص جرير والفرزدق، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٥.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ):

– تاريخ مدينة دمشق، حقّقه: مجد الدين أبو سعيد عمر العمروي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ):

– جمهرة الأمثال، حقّقه: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الجيل، بيروت، (   ).

علي بن محمد (الدكتور):

– ابن بسّام وكتاب الذخيرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩.

ابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ):

– مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، حقّقه: محمد عبدالقادر خريسات وآخرون، ط١، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين (الإمارات العربية)، ٢٠٠٥.

العنّابي، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت٧٧٦ هـ):

– نزهة الأبصار في محاسن الأشعار، حقّقه: السيد مصطفى السنوسي، وعبداللطيف أحمد، ط١، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٦.

القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ):

– الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨.

– ذيل الأمالي والنوادر، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ):

– الشعر والشعراء، حقّقه: عمر الطباع، ط١، دار الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٧.

القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد (ت ٦٨٤هـ):

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حقّقه: محمد الحبيب بن الخوجة، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦.

الكلاعي، محمد بن عبد الغفور (ت ٥٥٠ أو ٥٥٤هـ):

- إحكام صنعة الكلام، حقّقه: محمد رضوان الداية، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥.

ابن الكلبي، هشام بن محمد (ت ٢٠٤هـ):

- جمهرة النسب، حقّقه: ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٣.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ):

- الكامل في اللغة والأدب، حقّقه: محمد أحمد الدّالي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦.
- المقتضب، حقّقه: عبد الخالق عضيمة، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٩.

محمد باقر عبدالغني (الدكتور):

- جرير حياته ونتاجه، ترجمة سعاد محمد إبراهيم، ط١، دار مكتبة الرائد العلمية، عمّان، ٢٠٠٤.

محمد رضوان الداية (الدكتور):

- تاريخ النقد ا لأدبي في الأندلس، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١.

المرزباني، أبو عبيد محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ):

- معجم الشعراء، حقّقه: عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.

المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ):

- شرح ديوان الحماسة، حقّقه: أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.

المرصفي، سيّد بن علي:

- رغبة الآمل من كتاب الكامل، مكتبة الأسد بطهران، ١٩٧٠.

المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله (ت ٤٤٩هـ):

- شرح ديوان الحماسة، حقّقه: محمد نقشة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١.

المقري، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ):

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حقّقه: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرّم (ت ٧١١هـ):

- لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦.
- مختصر تاريخ دمشق، حقّقه: إبراهيم صالح، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧.

الميداني، أحمد بن محمد (ت ٥١٨هـ):

- مجمع الأمثال، حقّقه: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧.

ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي(ت ٦٢٦هـ):

- معجم البلدان، مطبعة دار صادر، بيروت.